الباب الثالث

حياة الشيخ أبي إسحاق العلمية

(ويتكون من ثمانية فصول)

الفصل الاول : في همته في الطلب

الفصل الثاني : في جدله

الفصل الثالث : في مكانته

الفصل الرابع : في عقيدته

الفصل الخامس: في شعره

الفصل السادس: في مشايخه

الفصل السابع : في تلاميذه

الفصل الثامن : في مؤلفاته

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول: في بيان همة الشيخ أبي إسحاق في طلب العلم

كان رحمه الله عظيم الهمة في الدرس والتحصيل، لا يمل من كثرة الرد والإعادة ليرتسم في ذهنه المعنى المطلوب، فلا يبرحه بعد وعن ذلك يحدثنا بنفسه فيقول: كنت أعيد كل قياس ألف مرة[1] فإذا فرغت منه، أخذت قياساً آخر، وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يستشهد به حفظت القصيدة[2] .ا.هـ حتى كان يعجب له من يشاهده كيف يطيق بذل كل ذلك الجهد، دون كلل ولا ملل، وكم صده ذلك عن تناول ما قد يشتهيه أحياناً من الطعام وان كان حاضراً عنده، قيل: انه اشتهى يوماً ثريداً بماء الباقلاء فجيء به إليه، فكان منه ما حدثناه، بقوله: ما صح لي أكله لإشتغالي بالدرس، وأخذي النوبة[3] .ا.هـ

ولقد كان يشفق عليه من يراه على تلك الحال، من ذوبان قلبه[4] لما يجتمع عليه من عظيم الجهد، وقلة الغذاء، حتى نحل جسمه

---

(١) المراد مطلق الكثرة لا العدد، من باب قوله تعالى: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ سورة البقرة: ٩٦. والمراد بالقياس: ما يكتب على اللوح ليحفظ ثم يمسح ويكتب محله غيره وهكذا.

(٢) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٠)، تهذيب النووي (٢: ١٧٣)، المجموع (١: ٣٢).

(٣) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٠)، تهذيب النووي (٢: ١٧٣). والمراد بالنوبة: تولى القراءة على الشيخ أثناء الدرس، وفي العادة أن يتولى ذلك أنجب الطلبة وأفصحهم لساناً وأنداهم صوتاً، وقد يعتور عليها أكثر من قارىء.

(٤) أنظر: طبقات إبن السبكي (٣: ٩٠).

جسمه ولكن من غير ضعف، لأن الجسم الذي يحمل صاحبه همة علية وغايات بعيدة، تتجدد فيه الحيوية، ويتفجر فيه النشاط، حتى يألف الجوع ويألفه، ولقد كان ذلك النشاط ينعكس على محياه وفي بريق عينيه، وصفه بعض من شاهده في تلك الحال، فعبر عنها خير تعبير وأصدقه، فقال:[1]

تراه من الذكاء نحيف جسم ... عليه من توقده[2] دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالي ... فليس يضره الجسم النحيل[3]

ا.هـ

---

(١) هو شاعر بغداد المفلق آنذاك، يقال له عاصم، فيما حكاه عنه الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي. أنظر وفيات الأعيان (١ : ٣٠).

(٢) أي من بريق عينيه. فإن ذلك يدل على الذكاء وجودة المزاج، ويعرف ذلك بالفراسة الطبية، ومثله أيضاً الإستدلال بسعة الصدر على سعة الخلق والحلم، وبصغر الرأس المفرط والخارج عن العادة على صغر العقل، وهذه الفراسة واحدة من أنواع ثلاث.
والثانية: فراسة رياضية: وهي التي تحصل بالجوع والسهر والزهد، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق المادية من كثرة الطعام وتنويعه صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها منه. وهذا المعنى يشترك فيه المسلم والكافر.
وفراسة الساسة والولاة من هذا النوع.
والثالثة: فراسة إيمانية، سببها نور يقذفه الله في قلب عبده. وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه وثوب الأسد على فريسته، ولهذا المعنى سميت فراسة. وهذه يختص بها المؤمن.
قلت: والدليل عليها قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله عليم حكيم﴾ سورة البقرة: ٢٨٢. وقوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ سورة الأنفال: ٢٩. أنظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٦٣).

(٣) وفيات الأعيان (١ : ٣٠)، الفكر السامي (٢ : ٣٢٩) رقم ٧٩٣.

الفصل الثاني: في جدل الشيخ ابي إسحاق

أما الجدل، فقد كان للشيخ منه النصيب الأوفى، بل كان فيه الأكفا، ولا عجب، فقد تمرس عليه وجربه منذ نعومة أظافره، ففاق فيه أستاذه، فضلاً عن أقرانه، فكأنما خلق للجدل، أو خلق الجدل له.

فهذا شيخه في شيراز أبو الفرج الفامي،[1] الذي كان إماماً في مذهب داود بن علي الظاهري، والذي اخذ عنه فقهاء شيراز المذهب الظاهري، والذي كان رأساً في الكلام على مذهب المعتزلة يخبرنا الشيخ أبو إسحاق بنفسه عن مناظرته إياه، فيقول: كنت أناظره بشيراز وأنا صبي[2] .ا.هـ

ولا زالت تلك الصفة تنمو فيه، ويشتد عودها، مع نمو علمه واشتداد صلبه، حتى أصبحت صفة ملازمة له في التعريف به فيقال: العلامة المناظر إشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة.ا.هـ[3] فما كان يدخل معه أحد في جدال إلا كان للشيخ الغلبة فيه عليه، حتى لكأنه ملك غابة الجدل والمناظرة، وقد وصف إبن السبكي هذا الجانب منه، فقال فيه: كان الشيخ أبو إسحاق غضنفراً[4] في المناظرة، لا يصطلي له

---

(١) ستأتي ترجمته عند الكلام عن مشايخه. رقم (٢).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٧٩).

(٣) الإعلام (١: ٥١).

(٤) إسم من أسماء الأسد.

بنار[1] .ا.هـ

وعبر غيره عن هذا المعنى بأسلوب آخر فقال: كان مفحماً لخصمه في الجدل والمناظرة، ذاع صيته في الآفاق، وإشتهر بالجدل والخلاف[2] .ا.هـ

ولذلك فقد جعله الناس أصلاً يقاس عليه، ومثلاً يضرب في القطع والبتر، قال سلار العقيلي، أحد شعراء عصره، يمدح سيفه بالمضاء، وجودة قطعه لا عناق الأعداء، وسهولة بتره لأطرافهم:

كفاني إذا عـم الحـوادث صـارم

ينيلني المأمـول بالأثـر والأثـر[3]

يقـد ويفـري فـي اللقـاء كأنـه

لسان أبي إسحاق في مجلس النظر[4]

ا.هـ

فلا غرو إذن، إن تصدى الشيخ أبو إسحاق لمناظرة الخصوم سواء كانوا من الموافقين له في المذهب، لكنهم يخالفونه في إختيار قول

---

(١) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٢).

(٢) الفتح المبين (١: ١٥٦).

(٣) الأثر: بفتح الهمزة وتسكين المثلثة بوزن الأمر، هو وشي السيف ويقال له فرند بكسر الأول والثاني. والأثر: بفتح الأول والثاني ما بقى من رسم الشيء وضربة السيف. أنظر المختار (ص٥٠١،٥).

(٤) طبقات إبن السبكي (٣: ٨٩).

فيه، أو في ترجيح وجه على وجه آخر، أو كانوا من المخالفين له في المذهب أصلاً.

والناس في العادة يحرصون على إنكار تفوق الخصم عليهم بكل وسيلة، إما بإنتحال الأعذار للنفس، كما قال أبو الوليد الباجي حين ناظره أبو محمد بن حزم الظاهري، فقطعه: اعذرني فإن أغلب مطالعتي كانت على السرج ـ جمع سراج يريد أنه لم تتهيأ له الظروف المادية الكافية ليستفيد من الوقت في الليل ـ.

فقال إبن حزم: بل اعذرني أنا، فإن اغلب مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة ـ يريد أن الغنى في العادة أبعد عن العلم على العكس من الفقير.

فالشيخ أبو إسحاق، إذا ناظر لا يدع لخصمه أدنى شبهة أو عذر يتمسك به في الإعتذار عن إنقطاعه في المناظرة، فلا يملك خصمه الا الإعتراف للشيخ بتفوقه عليه.[1]

وهو إذ يناظر الخصوم، إنما يروم نصرة ما يراه في المسألة من حق، ولذلك فقد ذكر في أول كتابه الملخص في الجدل جملاً من الآداب للمناظرة وإخلاص النية وتقديم ذلك بين يدي شروعه فيها قال النووي: وكان فيما نعتقده متصفاً بكل ذلك[2] .ا.هـ

فممن ناظرهم من أئمة المذهب الشافعي وإعترفوا له بالغلبة

---

(١) في دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣): وقد جرت بينه وبين إمام الحرمين مناظرات اعترف فيها إمام الحرمين بتفوقه عليه.ا.هـ

(٢) المجموع (١: ٣٣).

عليهم، الإمام الكبير أبو المعالي الجوينى إمام الحرمين، كان ذلك عندما أرسل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا إسحاق إلى نيسابور لتقديم شكاية الخليفة من إبن جهير عميد العراق، إلى ملك شاه والوزير نظام الملك ـ كما سيأتي بيانه عند الكلام على مكانته العلمية ـ فجرت بينه وبين أبي المعالي أثناء الرحلة مناظرات علمية عديدة، نقل إبن السبكي منها إثنتين من خط الشيخ تقي الدين أبي عمرو بن الصلاح في مجموع له بذلك، وهاك رأس المناظرتين:

المناظرة الأولى:

سئل فيها أبو المعالي، عمن إجتهد في القبلة وصلى، ثم تيقن الخطأ. فأجاب: بانه يجب عليه الإعادة.

وإستدل لذلك: بانه تعين له يقين الخطأ في شرط من شروط الصلاة، فلزمه الإعادة، كما لو تيقن الخطأ في الوقت.

إعترض عليه الشيخ الإمام أبو إسحاق بأن قال: لا يجوز إعتبار القبلة بالوقت. فإن أمر القبلة أخف من أمر الوقت، والدليل عليه شيئان:

أحدهما: أن القبلة يجوز تركها في النافلة في السفر، والوقت لا يجوز تركه في النوافل المؤقتة، كصلاة العيد وسنة الفجر في السفر وإن استويا في كونهما شرطين.

الشيء الثاني: أن القبلة يجوز تركها في الفرض في شدة الحرب، والوقت لا يجوز تركه في شدة الحرب في الفرض.

ثم أجاب أبو المعالي على ذلك الإعتراض، فرد عليه الإمام الشيخ، ودارت بينهما مناظرة طويلة ذكرها إبن السبكي في ثلاث

صفحات.[1]

المناظرة الثانية:

سئل فيها الشيخ أبو إسحاق عن إجبار البكر البالغة في النكاح. فأجاب: بأنه للأب تزويجها بغير إذنها.

وإستدل لذلك بأنها «باقية على بكارة الأصل، فجاز للأب تزويجها من غير إذنها، أصله إذا كانت صغيرة».

فقال السائل: جعلت صورة المسألة علة في الأصل، وذلك لا يجوز.

فقال ـ الشيخ ـ: هذا لا يصح، لثلاثة أوجه:

أحدها: أني ما جعلت صورة المسألة علة في الأصل، لأن صورة المسألة: تزويج البكر البالغة من غير إذن، وعلتي: أنها باقية على بكارة الأصل، وليس هذا صورة المسألة، لأن هذه العلة غير مقصورة على البالغة، بل هي عامة في كل بكر، ولهذا قيست على الصغيرة.

الثاني: قولك لا يجوز أن تجعل صورة المسألة علة، دعوى لا

---

(١) أنظر طبقات إبن السبكي (٣: ٢٧٥). ثم قال إبن السبكي في نهايتها أي في (ص٢٧٨): قال إبن الصلاح: نقلتها من خط الشيخ أبي على بن عمار، وقال: نقلتها من خط رجل من أصحاب الشيخ أبي إسحاق وذكر في آخر الخط إنه كتبها من خط الشيخ الإمام أبي إسحاق، وقوله ـ أي الشيخ ـ فيها ـ أي في المناظرة ـ فقلت له ـ أي لإمام الحرمين ـ هذا حكاية قول الشيخ أبي إسحاق، وقوله: فيها ـ أي في المناظرة ـ وهو ـ أي أبو إسحاق ـ دليل أنها نقلت من خطه. ا. هـ.

دليل عليها. وما المانع من ذلك.

الثالث: أن العلة شرعية، كما أن الأحكام شرعية، ولا ينكر في الشرع أن يعلق الشارع الحكم على الصورة مرة، كما يعلق على سائر الصفات، فلا معنى للمنع من ذلك فإن كان عندك أنه لا دليل على صحتها، فطالبني بالدليل على صحتها من جهة الشرع.[1]

فطالبه السائل بالدليل، فأجاب الشيخ، فإعترض أبو المعالي على ذلك، ودارت بينهما مناظرة قوية، ذكرها إبن السبكي في نحو ثلاث صفحات أيضاً.[2]

قد يقال: أن غلبته على أبي المعالي وغيره من الشافعية لا يكفي في الدلالة على تقدمه في المناظرة والجدل على غيره من الأنداد والمشايخ، لأن الغلبة على مناظر حنفي تقتضي الوقوف على دقائق مذهب الحنفية والإحاطة به.

لكن الإجابة على ذلك ميسورة. فإن الشيخ الإمام كان معروفاً بالإحاطة في علم الخلاف وضبطه ضبطاً يعز نظيره في غيره، ولذلك قيل: «إنه كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدكم الفاتحة».[3]

ولعل إبن الصباغ وهو منافسه الوحيد في عصره، والذي كان يشابهه في العلم والتأليف والتلاميذ والإتقان، لم يجد مدخلاً

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ٢٧٨).

(٢) أنظرها كاملة من (ص٢٧٨ ـ ٢٨٠).

(٣) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٢).

للقدح فيه إلا الإدعاء بإنحصار علمه في مسائل الخلاف، ولهذا كان يقول: «إذا أصطلح الشافعي وأبو حنيفة ذهب علم أبي إسحاق الشيرازي، يعني أن علمه هو مسائل الخلاف بينهما فإذا إتفقا إرتفع علمه»[1] وقد كان لأبي إسحاق صولات وجولات في المناظرة مع الحنفية، حكى لنا الإمام أبو الوليد الباجي المالكي الأندلسي صاحب المنتقى وهو شرح لموطأ مالك، وقد كان في بغداد، خلال رحلة طويلة في طلب العلم من الشرق، إستغرقت نحو ثلاثة عشر عاماً أخذ خلالها الفقه عن الشيخ الإمام أبي إسحاق وغيره،[2] حكى أبو الوليد إحدى هذه المناظرات فقال: العادة في بغداد أن من أصيب بوفاة أحد ممن يكرم عليه، قعد أياماً في مسجد ربضه، يجالسه فيها جيرانه وإخوانه، فإذا مضت أيام عزوه،[3] وعزموا عليه في التسلي والعودة إلى عادته من تصرفه، فتلك الأيام التي يقعد فيها في مسجد للعزاء مع إخوانه وجيرانه، لا تقطع في الأغلب إلا بقراءة القرآن أو بمناظرة الفقهاء في المسائل، فتوفيت زوجة القاضي أبي الطيب الطبري، وهو شيخ الفقهاء، ذلك الوقت ببغداد وكبيرهم فإحتفل الناس بمجالسته، ولم يكد يبقى أحد منهم منتم إلى علم الاّ حضر ذلك المجلس، وكان ممن حضر ذلك المجلس القاضي أبو عبد الله الصيمري، وكان زعيم الحنفية وشيخهم، وهو الذي كان يوازي أبا الطيب في العلم والشيخوخة والتقدم، فرغب جماعة من الطلبة إلى

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٢).

(٢) بأنظر الديباج المذهب (ص١٢٠).

(٣) لعلها: عزائه.

القاضيين أن يتكلما في مسألة من الفقه يسمعها الجماعة منهما وتنقلها عنهما، وقلنا لهما: إن أكثر من في المجلس غريب، قصد إلى التبرك بهما، والأخذ عنهما، ولم يتفق لمن ورد منذ أعوام جمة أن يسمع مناظرتهما، إذ كانا قد تركا ذلك منذ أعوام، وفوضا الأمر في ذلك إلى تلاميذهما، ونحن نرغب أن يتصدق على الجميع بكلامهما في مسألة يتجمل بنقلها وحفظها وروايتها.

فأما القاضي أبو الطيب فأظهر الأسعاف بالإجابة، وأما القاضي أبو عبد الله فإمتنع من ذلك، وقال: من كان له تلميذ مثل أبي عبد الله يريد الدامغاني لا يخرج إلى الكلام وها هو حاضر، من أراد أن يكلمه فليفعل.

فقال القاضي أبو الطيب عند ذلك: وهذا هو أبو إسحاق من تلامذتي ينوب عني.

فلما تقرر الأمر، إنتدب شاب من أهل كازرون، يدعى أبا الوزير يسأل أبا إسحاق الشيرازي: الإعسار بالنفقة، هل يوجب الخيار للزوجة ؟

فأجابه الشيخ: إنه يوجب الخيار، وهو مذهب مالك، خلافاً لأبي حنيفة في قوله: إنه لا يوجبه لها.

فطالبه السائل بالدليل على صحة ما ذهب إليه.

فقال الشيخ أبو إسحاق: الدليل على صحة ما ذهبت إليه: أن النكاح نوع ملك، يستحق به الإنفاق، فوجب أن يكون الإعسار بالإنفاق يؤثر في إزالته، كملك اليمين.

فاعترضه السائل بإعتراضات. ووقع ـ لأبي إسحاق ـ الإنفصال

عنها.

ثم تناول الكلام على وجه النيابة عنه ـ أي عن السائل ـ وهو الذي يسميه أهل النظر: المذنب، الشيخ أبو عبد الله الدامغاني فقال: هذا غير صحيح.(١)

ثم ذكر وجه عدم صحته، فرد عليه الشيخ أبو إسحاق، وهكذا جعلا يتحاوران ويتبادلان الإعتراض والإعتراض المضاد، إلى أن كانت الكلمة الأخيرة في ذلك للشيخ أبي إسحاق رحمه الله، فوقعت المناظرة بينهما فيما يزيد على أربع صفحات.

وأيضاً فقد نشبت بين الشيخ أبي إسحاق وأبي عبد الله الدامغاني مناظرة أخرى، وقد إجتمعا في عزاء ببغداد، حيث «سئل الشيخ أبو إسحاق عن الذمي إذا أسلم هل تسقط عنه الجزية لما مضى. فمنع من ذلك، وهو مذهب الشافعي، فسئل الدليل فاستدل على ذلك: بأن أحد الخراجين إذا وجب في حال الكفر لم يسقط بالإسلام، أصله خراج الأرض.

فقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغاني لا يمتنع أن يكون نوعان من الخراج ثم يشترط في أحدهما مالا يشترط في الآخر، كما أن زكاة الفطر وزكاة المال نوعان من الزكاة، ثم يشترط في أحدهما النصاب، ولا يشترط في الآخر.

والسؤال ـ أي الأعتراض ـ الثاني: لا يمنع أن يكون حقان متعلقان بالكفر أحدهما يسقط بالإسلام والآخر لا يسقط، ألا ترى أن

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ١٠٥) والتي تليها.

الإسترقاق والقتل حقان متعلقان بالكفر، ثم أحدهما يسقط بالإسلام وهو القتل، والآخر لا يسقط بالإسلام وهو الإسترقاق.

والسؤال ـ أي الإعتراض ـ الثالث: المعنى في الأصل: أن الخراج يجب بسبب التمكن من الإنتفاع بالأرض ويجوز أن يجب بمثل هذا السبب حق عليه في حال الإسلام، وهو العشر، فلهذا جاز أن يبقى ما وجب عليه منه حال الكفر، وليس ذلك هاهنا، لأنه ليس يجب بمثل سببه حق في الإسلام، فلهذا سقط ما وجب في حال الكفر.

فقال الشيخ أبو إسحاق على الفصل الأول وهو إعتبار النصاب في زكاة المال دون زكاة الفطر ثلاثة أشياء:

أحدها: أن ما ذكرت حجة لنا، لأن زكاة الفطر، وزكاة المال لما كان سبب إيجابهما الإسلام، والكفر ينافيهما، كان تأثير الكفر في إسقاطهما مؤثراً واحداً، حتى إنه إذا وجبت عليه زكاة الفطر وارتد عندهم سقط عنه ذلك، كما إذا وجبت عليه زكاة المال ثم ارتد سقطت عنه الزكاة، فكان تأثير الباقي في إسقاطهما على وجه واحد فكذلك ههنا، لما كان سبب الخراجين هو الكفر، والإسلام ينافيهما فيجب أن يكون تأثير الإسلام في إسقاطهما واحداً، وقد ثبت أن أحدهما لا يسقط بالإسلام، فكذلك الآخر.

جواب ثان: أن الزكاتين إفترقتا، لأن زكاة الفطر فارقت سائر الزكوات في تعلقها بالذمة، ففارقها في إعتبار النصاب، وليس كذلك الخراجان، فإنهما سواء في إعتبار الكفر في وجوبهما ومنافاة الإسلام لهما، فلو سقط أحدهما بالإسلام سقط الآخر.

جواب ثالث: وهو أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال فلهذا لم يعتبر فيها النصاب، وليس كذلك سائر الزكوات، فإنها تختلف بإختلاف المال، وتزداد بزيادته، فلهذا اعتبر فيها النصاب وأما حال الخراجين فإنهما على ما ذكرت سواء، فوجب أن يتساويا في الإسلام.

وأما الفصل الثاني: وهو القتل والإسترقاق. فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن القتل والإسترقاق جنسان مختلفان، ومع إختلاف الأجناس يجوز أن يختلف حكمهما.

والثاني: الإسترقاق إذا حصل في حال الكفر، كان ما بعد الإسلام إستدامة للرق وبقاء عليه، وليس كذلك القتل، فإنه إبتداء عقوبة فجاز أن يختلفا، وأما في مسألتنا فحال الخراجين واحدة، من إستيفاء ما تقدم وجوبه، فإذا لم يسقط أحدهما لم يسقط الآخر.

وأما الفصل الثالث: وهو المعارضة، فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن قال ـ الشيخ أبو إسحاق وقائل ذلك هو راوي المناظرة ـ لا أسلم هل بسبب الخراج يجب على المسلم حق، فإن الخراج إنما وجب بسبب التمكن من الإنتفاع مع الكفر. والعشر إنما لزم للأرض بحق الله، وهو الإسلام.

والثاني: أنه إن كان هناك حق يجب بمثل سبب الخراج، فيحسن أن يجرى عليه الذي في حال الإسلام، فلهذا جاز أن يبقى ما تقدم وجوبه في حال الكفر، فكذلك في مسألتنا يجب بمثل سبب الجزية حق، حتى يجرى عليه في حال الإسلام، وهو زكاة الفطر، فإن زكاة

الفطر تجب على الرقبة، فيجب أن الجزية تجب عن الرقبة، وأن يبقى ما وجب من ذلك في حال الكفر، فلا فرق بينهما».[1]

ثم أجاب الدامغاني على كلام الشيخ أبي إسحاق المذكور، فرد عليه أبو إسحاق. وهكذا جعل كل منهما يورد الإعتراض على خصمه ويرد على إعتراضه، حتى رست نهاية المناظرة على قول الشيخ أبي إسحاق. فوقعت المناظرة في خمس صفحات وثلث الصفحة تقريباً.[2]

فلا عجب بعد هذا أن نرى التاج السبكي ينتفض للرد على من يسوي بين الشيخ أبي إسحاق وإبن الصباغ في علم الخلاف والجدل بقوله: «**وأما المختلف ـ الخلافيات ـ فما كان أحد يضاهي أبا إسحاق في عصره**»[3] .ا.هـ

وهو إذ يبذل كل هذه الجهود الفكرية، ليبنى حول الفقه الشافعي حصوناً ويحيك له سياجاً من الحجج والبراهين النقلية والعقلية، ليدفع بها عنه شبه المخالفين، ويرد عنه بها اعتراضات الخصوم، فأدى بذلك خدمة للمذهب عظيمة التأثير في إنتشاره في أوساط المذاهب الأخرى، وتقوية الثقة به في أوساط الأتباع.

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ١٠٠) والتي تليها.

(٢) انظرها كاملة في طبقات ابن السبكي (٣: ١٠٠ـ١٠٥).

(٣) طبقات ابن السبكي (٣: ٢٣١).

الفصل الثالث: مكانة الشيخ أبي إسحاق العلمية

كان الشيخ أبو إسحاق رحمه الله قد ضرب في مختلف العلوم والفنون بسهم وافر، حتى بَزَّ به الأقران بل وقارن الأشياخ، وربما فاق بعضهم، حتى أضحى إمام المذهب في وقته. «فكانت الطلبة ترحل من الغرب والشرق إليه، والفتاوى تحمل من البر والبحر إلى بين يديه، والفقه تتلاطم امواج بحاره، ولا تستقر إلا لديه، ويتعاظم لابس شعاره[1]، إلا عليه. حتى ذكروا أنه كان يجري مجرى ابن سريج في تأصيل الفقه وتفريعه ويحاكيه في انتشار الطلبة في الربع العام جمعيه»[2].

ولقد حدثنا هو رحمه الله بنفسه عن كثرة تلاميذه، وانتشارهم في خراسان، وتبوئهم مختلف المناصب العالية، هناك، فقال[3]: خرجت إلى خراسان فما بلغت بلدة ولا قرية، الا وكان قاضيها او مفتيها او خطيبها تلميذي أو من أصحابي[4]. ا.هـ

---

(١) أي علامة العلم التي يعرف بها صاحبها أنه من العلماء كالعمائم والطيالس ونحو ذلك، وهذا الشعار يختلف من بلد لآخر، ومن زمن لآخر، قال في المختار (ص٣٣٩): شعار القوم في الحرب: علامتهم ليعرف بعضهم بعضاً. ا.هـ

(٢) طبقات ابن السبكي (٣: ٨٩).

(٣) يوم ان بعثه الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله إلى خراسان ليوصل شكاية الخليفة إلى السلطان ملك شاه ونظام الملك، ضد العميد ابي الفتح ابن أبي الليث، عميد العراق.

(٤) طبقات ابن السبكي (٣: ٨٩).

ولما أحس منه أهل زمانه بذلك التفوق والتوفيق، جعلوا يعترفون له بالفضل والسبق عليهم، بعد أن تجاوز القرين والند مرحلة الحسد إلى الإغتباط لإعترافهم بالعجز عن اللحاق به، إذ أصبح بينه وبينهم المراحل والمفاوز، التي دونها فناء الأعمار، مهما تعاقب الليل والنهار.

قال الإمام الحافظ أبو سعد السمعاني[1] : كان الشيخ أبو إسحاق إمام الشافعية والمدرس ـ الأكفأ ـ ببغداد في النظامية، شيخ الدهر وإمام العصر، رحل إليه الناس من الأمصار، وقصدوه من كل الجوانب والأقطار[2] .ا.هـ

وقال فيه محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد[3] : إمام أصحاب الشافعي، ومن انتشر فضله في البلاد، وفاق أهل زمانه بالعلم والزهد، وأكثر علماء الأمصار من تلاميذته[4] .ا.هـ

والإمام أبو بكر محمد بن علي بن حامد الشاشي وهو أحد تلاميذه وقد خبره وخبر غيره بالجلوس إليه وإليهم فوازنه بغيره، فوجده أهلا لأن يقول فيه: الشيرازي حجة الله على أئمة العصر[5] .ا.هـ

---

(١) وهو أحد تلاميذه.

(٢) تهذيب النووي (٢:١٧٣)، المجموع (١:٣٣).

(٣) من علماء الشافعية. انظر طبقات ابن السبكي (٥:٤١).

(٤) وفيات الأعيان (١:٣٠).

(٥) طبقات ابن السبكي (٣:٩٤).

بل قال فيه الإمام أبو الحسن الماوردي[1] صاحب الحاوي وقد اجتمع بالشيخ وسمع كلامه في مسألة: ما رأيت كأبي إسحاق، لو رآه الشافعي لتجمل به[2] .ا.هـ

فإن قلت: هؤلاء شافعيون، فقد تحملهم محبة المذهب على المبالغة في مدح أصحابهم.

قلت: ورعهم يمنعهم من ذلك، وإن سلم، فهاك اعتراف إمام أصحاب الرأي وهم خصوم الشافعية في الفقه، الإمام الموفق الحنفي إذ يقول فيه: أبو إسحاق، إمام المؤمنين في الفقهاء[3] .ا.هـ والفضل ما شهدت به الخصوم.

بل شارك في مدحه السياسيون، وهم في غالب الأحيان يحرصون على عدم التحيز إلى طرف دون آخر، لتبقى لهم المكانة عند الجميع، فهذا عميد الدولة ابن جهير الوزير[4] يقول: هو وحيد عصره، وفريد دهره[5] .ا.هـ ففضله على من عداه مطلقاً.

فإذا قال فيه ابن السبكي بعد ذلك: كان الشيخ ابو إسحاق مجمعاً عليه من أهل عصره علماً وديناً.ا.هـ كان هذا منه كلاماً مقبولاً قطعاً.

---

(١) وقد نقل الشيخ أبو إسحاق له أقوالاً في المهذب في الجزء الثاني (ص٢٢٦).

(٢) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٤).

(٣) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٥).

(٤) وهو من تلاميذ الشيخ ابي اسحاق.

(٥) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٥).

وإذا كانت هذه مكانته، فلا غرو إذن أن يبعثه الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله ـ وكان كبير الإجلال للشيخ أبي إسحاق وكان الشيخ أبو إسحاق سبباً في جعله خليفة[1] يوم أن تشوش من العميد ابي الفتح بن أبي الليث، عميد العراق، برسالة إلى السلطان ملك شاه ونظام الملك، تتضمن الرسالة شكوى الخليفة من العميد، بعد أن شافه الخليفة الشيخ أبا إسحاق بالشكوى، وأن أهل البلد حصل لهم الأذى به، وأمره بالخروج إلى العسكر وشرح الحال بين يدي السلطان، وبين يدي الوزير نظام الملك، فتوجه الشيخ ومعه جمال الدولة عفيف، وهو خادم من خدام الخليفة[2].

قال أبو الحسن الهمداني: وكان عند وصوله إلى بلاد العجم يخرج أهلها بنسائهم وأولادهم، فيمسحون أردانه، ويأخذون تراب نعله، ويستشفون به، وكان يخرج من كل بلد أصحاب البضائع بضائعهم، وينثرونها ما بين حلوى وثياب وفراء، وغير ذلك، وهوينهاهم حتى انتهوا إلى الأساكفة، فجعلوا ينثرون المتاعات وهي تقع على رؤوس الناس، والشيخ يتعجب[3]. ا.هـ

ولما التقى بالسلطان ونظام الملك اكرماه، وجرى بينه وبين إمام

---

(١) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٢)، وأما كونه سبباً في ذلك فلأنه من أوائل من بايعه. انظر الكامل (١٠: ٩٦).

(٢) انظر طبقات ابن السبكي (٣: ٩٠)، الكامل (١٠: ١٢٥) ذكر ذلك في حوادث سنة خمس وسبعين وأربعمائة للهجرة في ذي الحجة. وهو ما يوافق مايو سنة ثلاث وثمانين وألف للميلاد كما في دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣). وقد أوفده إلى نيسابور، وكان ذلك قبل وفاة الشيخ أبي إسحاق بعام واحد فقط.

(٣) طبقات ابن السبكي (٣: ٩١).

الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة الوزير نظام الملك.

وعن نتيجة تلك الرحلة يقول ابن الأثير: وأجيب ـ الشيخ ـ إلى جميع ما التمسه، ولما عاد ـ الشيخ ـ أهين العميد ـ أبو الفتح ـ وكسر عما كان يعتمده، ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة[1] .ا.هـ

وقد بقيت منزلة الشيخ عظيمة لدى الوزير نظام الملك الذي بنى المدرسة النظامية في بغداد ليتولى الشيخ التدريس والإدارة[2] فيها فلما توفي الشيخ أبو إسحاق وعيّن مؤيد الملك وهو أحد أبناء نظام الملك ابى اسحاق الإمام أبا سعد المتولى، انكر نظام

الملك ذلك وكتب يقول: كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله وزرى على من تولى موضعه[3] .ا.هـ

---

(١) الكامل (١٠: ١٢٦).

(٢) بناها له على نهر المعلى في بغداد. انظر المنتظم (٩: ٦).

(٣) وفيات الأعيان (١: ٣١).

obeikandl.com

الفصل الرابع: في عقيدة الشيخ أبي إسحاق

ثمة نصوص وأقوال متناثرة في بطون تراجمه، تفيد بأن الشيخ أبا إسحاق كان أشعرياً في عقيدته.

كما أن هناك نصوصاً أخرى تفيد أنه لم يكن على عقيدة الأشاعرة بل كان مناقضاً لها ورادّاً عليها، وأنه كان يقول بما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل في باب الإعتقاد[1]. فناسب أن يكون هذا الفصل في بحثين، ثم اتبعهما بثالث أبين فيه الراجح من هذين الرأيين:

المبحث الأول: في ذكر ما يفيد أنه كان أشعرياً

وقع لي من ذلك حتى الآن ستة أدلة يمكن أن يستفاد منها ان الشيخ أبا إسحاق كان أشعري المعتقد، هي:

الأول: معلوم أن للشيخ أبي إسحاق صلة وثيقة بالوزير السلجوقي نظام الملك، الذي كان يقدر الشيخ ويعظمه، ولذلك فقد بنى له مدرسة في بغداد ليتولى الشيخ التدريس فيها[2]، ومعلوم أيضاً أن

---

(١) وقد تحدثنا في كتابنا «دروس وعبر في عقائد من غبر» عن الأشعرية والسلفية وبعض الفوارق بينهما، كما للإستاذ الدكتور سفر الحوالى حفظه الله بحث نفيس في منهج الأشاعرة والفوارق بينهم وبين اهل السنة فيه طبع الدار السلفية في الكويت فليراجع.

(٢) هذه واحدة من مدارس عديدة بناها نظام الملك في العراق وخراسان لنشر المذهب السني بعد ضعفه في عهد البويهيين وجعل على كل مدرسة منها إماماً من أئمة السنة. والمدرسة الثانية في نيسابور وثالثة في هراة ورابعة في أصبهان وخامسة في البصرة وسادسة بمرور وسابعة في طبرستان، وثامنة في الموصل =

نظام الملك كان أشعرياً شافعياً[1]، وكان يهدف من بنائه تلك المدرسة في بغداد إلى هدفين:

الأول: بث العقيدة الأشعرية في وسط الحنابلة، الذين كانوا يسمونهم بالحشوية والمجسمة والمشبهة من الناحية العقدية وبث المذهب الشافعي من الناحية الفقهية[2]، وقد كانت بغداد معقلاً كبيراً للحنابلة آنذاك حتى إن الخليفة العباسي فيها كان حنبلياً أيضاً.

الهدف الثاني: ان تكون منبراً للمسلمين السنة لملاحقة عقائد الشيعة الروافض الذين انتشر فيهم مذهب المعتزلة، والذين كانت لهم الصولة والجولة في بغداد إبان حكم البويهيين، الذين تمكن السلاجقة الاتراك من القضاء عليهم، واقصائهم عن السلطنة بعد أن قضوا على الملك الرحيم آخر سلاطين البويهيين في سنة سبع وأربعين واربعمائة للهجرة، فشرعوا في إعادة تثبيت المذهب السني في البلاد، وكان الوزير نظام الملك الذي كان وزيراً لآخر السلاطين السلاجقة الأتراك أعني به ملك شاه الذي توفي سنة خمس وثمانين واربعمائة هو أول من بنى سنة تسع وخمسين وأربعمائة في بغداد مدرسة إسلامية

= إلى غير ذلك من المدارس في كل مدينة في العراق وخراسان. انظر طبقات ابن السبكي (٣: ١٣٧) في ترجمة الوزير نظام الملك.

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن السبكي (٣: ١٣٥) وقد أشار إليه الشيخ ابو إسحاق عند توقيعه على المحضر الآتي ذكره في الدليل الخامس.

(٢) انظر في هذا المعنى مقدمة كتاب الوصول (ص٤٣) والتي تليها.

سنية[1]، في مواجهة المدرسة التي بناها الشيعة البويهيون هناك، على يد الوزير البويهي سابور بن اردشير سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة في حي الكرخ في بغداد، وزودها بمكتبة ثرية، أقام عليها مجموعة من أعيان الشيعة، ووقف لها أوقافاً كبيرة وهامة لتغطية مصروفاتها، والإنفاق على مشاريعها[2].

فإذا كان هدف نظام الملك هو بث المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية في تلك الأوساط، فإن مما ينسجم مع ذلك الهدف ويقرب الوصول إليه أن تسند مهمة التدريس والإدارة فيها إلى من يؤمن بما يؤمن به نظام الملك، والا لتبددت الجهود المبذولة في سبيلها ولضاع ذلك الهدف المنشود من بنائها.

ولذلك لم يكتف نظام الملك بأن أقام الشيرازي على تلك المدرسة بل كان يقتنص الفرص لتثبيت هذا الهدف والإعانة عليه، فكان كلّما زاره إمام من ائمة الكلام في العقيدة الأشعرية عمد إلى بعثه كأستاذ زائر إلى المدرسة النظامية للمشاركة في إلقاء الخطب فيها والمحاضرات عن العقيدة الأشعرية وأصولها.

ففي سنة تسع وستين وأربعمائة زار الإمام أبو نصر ابن القشيري وكان اشعرياً متطرفاً، زار نظام الملك في خراسان فأعجب به نظام الملك، فأرسله زائراً إلى المدرسة النظامية في بغداد لإلقاء دروس في العقيدة الأشعرية هناك، فتكلم على مذهب الأشعري ونصره وتعرض للحنابلة بالقدح والذم، واتهمهم بالتجسيم والتشبيه، فبلغ

---

(١) انظر وفيات الأعيان (٣: ٢١٧) رقم ٣٩٩.

(٢) انظر مقدمة كتاب الوصول (ص١٢).

ذلك زعيم الحنابلة إذ ذاك وهو الشيخ الشريف أبو جعفر، فاستاء لذلك فعبر هو وجماعته الحنابلة عن ذلك الإستياء بشن هجوم على سوق المدرسة النظامية[1] وكان يسكن في المدرسة مؤيد الملك بن نظام الملك، فاستنجد بأبيه، فنزل الجيش وأخمد ثورتهم بالقوة، وكان نتيجة ذلك أن قتل نحو عشرين قتيلاً من الناس.

ولم تمض على هذه الفتنة قرابة خمس سنوات، حتى بعث نظام الملك أحد الوعاظ المشهورين ممن حظوا لديه بالتقدير والإعجاب وهو الشريف أبو القاسم البكري المغربي، وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه، ومال إليه وسيّره إلى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة، فوعظ بالمدرسة النظامية، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول: ﴿**وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا**﴾[2] والله ما كفر احمد ولكن أصحابه كفروا.

ثم انه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني بنهر القلائين، فجرى بين بعض أصحابه وقوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة، وكثر جمعه، فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى، فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرس للوعظ، فيشنع به عليهم، وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكرى من

---

(١) وقد وقع هذا الهجوم سنة سبعين وأربعمائة، وكان للحنابلة أيضاً سوق يسمونه سوق الثلاثاء، شن عليه الأشاعرة هجوماً مماثلاً، فنهب كل من الطرفين ما كان في سوق الطرف الآخر ولم تهدأ الفتنة الا بتدخل الجيش فيها حيث ضرب الناس وقتل منهم جماعة فانفصل بعضهم عن بعض. انظر الكامل(١٠: ١٠٥).

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

الديوان[1] بعلم السنة[2] . وهكذا تحولت المعارك عما كانت عليه أيام البويهيين بين السنة والشيعة، إلى فتن وقلاقل بين الحنابلة والشافعية.

وأنا أقطع بأن الذين كانوا يغذون هذه الفتن هم أناس مندسون بين الحنابلة والشافعية على السواء بعد أن لبسوا لبوس أولئك وهؤلاء، كما حصل أيام الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حيث كان المندسون يثيرونها جذعة كلما خبت، وعلى الدعاة الإسلاميين إتخاذ الحيطة من مثل هؤلاء كي لا ينحرفوا بالدعوة عن أهدافها.

الدليل الثاني:

ان ابن عساكر اورد ترجمة الشيخ أبي إسحاق في الطبقة الرابعة من المستبصرين بتبصير أبي الحسن الأشعري وأيضاً حثه وإيضاحه في الإقتداء، والمتابعة. ثم أورد قولاً لبعض الناس أن الشيخ أبا إسحاق لم يكن أشعرياً، فرده وزرى على قائله، فقال: وكان يظن به بعض من لا يفهم أنه مخالف للأشعري، لقوله في كتابه في أصول الفقه: وقالت الأشعرية: ان الأمر لا صيغة له.[3] وليس ذلك لأنه لا يعتقد إعتقاده، وإنما قال ذلك لأنه خالفه في هذه المسألة بعينها كما خالفه غيره من الفقهاء فيها، فأراد أن يبين فيها أن هذه المسألة مما انفرد بها

---

(١) أي ديوان نظام الملك.

(٢) الكامل (١٠ : ١٢٤) والتي تليها، حوادث سنة خمس وسبعين وأربعمائة.

(٣) أنظر التبصرة (ص٢٢) وعبارته: وقالت الأشعرية: ليس للأمر صيغة ا.هـ.

أبو الحسن .ا.هـ[1]

الدليل الثالث:

نقل ابن عساكر استفتاء وقع في بغداد عن قوم يلعنون اتباع أبي الحسن الأشعري ويكفرونهم، فأجاب عدد من أهل العلم، كان بينهم الشيخ أبو إسحاق، فقال: الأشعرية أعيان أهل السنة ونصار الشريعة، انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، وإذا رفع أمر من يفعل ذلك إلى الناظر في أمر المسلمين، وجب عليه تأديبه بما يرتدع به كل أحد. ثم وقع على ذلك فقال: وكتبه إبراهيم بي علي الفيروز أباذي[2] .ا.هـ

الدليل الرابع:

لما وقعت الفتنة بين الحنابلة والشافعية عام تسع وستين وأربعمائة بعد القاء القشيري خطبه ومحاضراته في النظامية ببغداد انضم الشيخ أبو إسحاق إلى جانب أبي نصر إبن القشيري ضد الحنابلة[3] بل كان من المتعصبين له[4] فيها.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٣٣٢)، طبقات إبن السبكي (٢:٢٦) في ترجمة إبن الحسن الأشعري.

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٣٣٢)، طبقات ابن السبكي (٢:٢٦) في ترجمة أبي الحسن الأشعري.

(٣) انظر طبقات إبن السبكي (٣:٩٨).

(٤) أنظر الكامل (١٠:١٠٥).

الدليل الخامس:

وهو ما ورد في المحضر الذي قدمه عقب الفتنة المذكورة مع جماعة من العلماء إلى نظام الملك، يشرحون فيه أسبابها ويستنصرون فيه الوزير على خصومهم الحنابلة، ثم ختموا المحضر بأن وقع كل منهم عليه وذيل توقيعه بطلب نصرة السلطان أيضاً تأكيداً لما ورد في المحضر، وتحريضاً للسلطان ضد الخصوم.

وإليك نص المحضر كاملاً لتقف منه على ما فيه من الإفادة بأن الشيخ أبا إسحاق كان أشعرياً موافقاً لعقيدة أبي نصر بن القشيري الأشعري المتطرف، وسأورده كما هو عند ابن عساكر في كتابه الذي وضعه لنصرة وترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري وسماه: تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري، جاء في المحضر:[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، يشهد من ثبت اسمه ونسبه، وصح نهجه ومذهبه، واختبر دينه وأمانته، من الإئمة الفقهاء الأماثل وأهل القرآن، والمعدلين الأعيان، وكتبوا خطوطهم المعروفة بعباراتهم المألوفة، مسارعين إلى أداء الأمانة، وتوخوا في ذلك ما تحظر الديانة، مخافة قوله تعالى ﴿**ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**﴾،[2] أن الحشوية والأوباش الرعاع المتوسمين، بالحنبلية،[3]

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٣١٠) وما يليها.

(٢) سورة البقرة: ١٤٠.

(٣) هذا الوصف إن صدق على بعض الحنابلة، فمن الحيف وسم جميعهم به. صحيح أن هناك بعض الحنابلة قد افضى بهم الإفراط في الإثبات إلى التجسيم والتشبيه كأبي عبد الله بن حامد والقاضي أبي يعلى وشيخه الحسن بن =

اظهروا ببغداد من البدع الفظيعة، والمخازي الشنيعة، ما لم يتسمّح به ملحد، فضلاً عن موحد، ولا تجوّز به قادح في اصل الشريعة ولا معطل، ونسبوا كل من ينزه الباري تعالى وجل عن النقائص والآفات وينفى عنه الحدوث والتشبيهات، ويقدسه عن الحلول والزوال، ويعظمه عن التغير من حال إلى حال، وعن حلوله في الحوادث وحدوث الحوادث[1] فيه إلى الكفر والطغيان ومنافاة أهل الحق والإيمان، وتناهوا في قذف الأئمة الماضين، وثلب أهل الحق وعصابة الدين، ولعنهم في الجوامع والمشاهد والمحافل والمساجد والأسواق والطرقات والخلوة والجماعات.

ثم غرّهم الطمع والإهمال، ومدهم في طغيانهم الغي والضلال إلى الطعن فيمن يعتضد به من ائمة الهدى وهو للشريعة العروة

= الزاغوني كما حكى ذلك عنهم إبن تيمية في المجموع (٤: ١٦٦)، إلا أن إلحاق الجميع بهم لا يجوز وإنما يفعل ذلك من أنساه توغله في الرد على المتطرفين الإعتدال في حكمه، وقد قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ سورة المائدة ٨.

(١) تنزيه الله تعالى واجب، ولكن ذلك لا يمنع من إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال من النزول والمجيء والوجه واليد وغير ذلك مما ثبت وصف الله به في الكتاب والسنة لأن إثبات ذلك لا يلزم منه مشابهته للخلق في التغير من حال إلى حال، لأن الله تعالى (ليس كمثله شيء) والذي أوقع نفات الصفات الخبرية في ذلك الوهم، هو قياسهم الخالق على المخلوق، فان حركة المخلوق من نزول ومجيء ونحو ذلك يلزم منها التغير من الحال التي إنتقل عنها إلى التي إنتقل إليها وهذا المعنى منفي عن الله تعالى لأنه (ليس كمثله شيء) فلا مانع إذن من إثبات تلك الصفات في حقه تعالى لأنها صفات كمال فيه ولا توجب في حقه تعالى نقصاً ولا حدوثاً ولا تغيراً. وهذا أصل مهم في باب توحيد الأسماء والصفات، وبالله التوفيق.

الوثقى، وجعلوا أفعاله الدينية معاصي دنية، وترقوا من ذلك إلى القدح في الشافعي رحمة الله عليه واصحابه.

واتفق عود الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر بن الأستاذ الإمام زين الإسلام أبي القاسم القشيري رحمة الله عليه من مكة حرسها الله فدعا الناس إلى التوحيد وقدس الباري عن الحوادث والتحديد فاستجاب له اهل التحقيق من الصدور الأفاضل، السادة الأماثل.

وتمادت الحشوية في ضلالتها، والإصرار على جهالتها وأبوا إلا التصريح بأن المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وانامل[1]، وأنه ينزل بذاته، ويتردد على حمار في صورة شاب أمرد، بشعر قطط وعليه تاج يلمع، وفي رجليه نعلان من ذهب[2].

وحفظ ذلك عنهم، وعللوه ودونوه في كتبهم، وإلى العوام ألقوه وإن هذه الأخبار لا تأويل لها، وأنها تجري على ظواهرها، وتعتقد

---

(١) هذا شيء لم يصرح به أحد ممن أثبت لله تعالى صفة الكلام أصلاً، وإنما حمل أصحاب المحضر على ذلك أنهم فهموا من إثبات صفة الكلام له تعالى، ان ذلك يستلزم في حقه ما يستلزمه في حق المخلوق، فإن المخلوق لا يقدر على الكلام الا بواسطة الفم بما فيه من شفتين ولسان وأضراس ولهوات ثم قصبة هوائية ورئة تدفع الهواء فيها ليمر إلى الفم، ثم تتحكم به اللهوات واللسان والأضراس والشفتان، ليصير بعدها كلاماً مفهوماً مسموعاً.

وهم في ذلك غافلون عما أكد عليه السلف في إثباتهم صفات الله تعالى من أنه (ليس كمثله شيء) وان ما يلزم من إثبات صفة ما للعبد، لا يلزم من إثباتها لله تعالى ما يلزم في إثباتها للعبد.

(٢) القائلون بذلك اعتمدوا على أحاديث موضوعة، وأما السلف فلا يثبتون الصفات الا بالقرآن وصحيح السنة.

كما ورد لفظها، وأنه تعالى يتكلم بصوت كالرعد، وكصهيل الخيل.[1]

وينقمون على أهل الحق لقولهم إن الله تعالى موصوف بصفات الجلال، منعوت بالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة والكلام وهذه الصفات قديمة[2]، وأنه يتعالى عن قبول الحوادث، ولا يجوز تشبيه ذاته بذات المخلوقين، ولا تشبيه كلامه بكلام المخلوقين.

ومن المشهور المعلوم أن الأئمة الفقهاء على إختلاف مذاهبهم في الفروع، كانوا يصرحون بهذا الإعتقاد، ويدرسونه ظاهراً مكشوفاً لأصحابهم، ومن هاجر من البلاد إليهم ولم يتجاسر أحد على إنكاره ولا تجوز متجوز بالرد عليهم

---

(١) ولكن وجود طائفة من الحنابلة تقول ذلك، لا يضير الحنابلة شيئاً، فإن في غيرهم من المذاهب جهال وضالون أيضاً، فلا يجوز إطلاق هذا القول على الحنبلية، حتى كأنهم متفقون عليه.

(٢) ويسمونها صفات عقلية، لأن العقل يوجب اتصاف الباري تعالى بها، ويؤولون ما عداها، بحجة أنها توهم التشبيه، مع أن هذا التوهم موجود في الصفات السبع التي اثبتوها أيضاً، أليس الإنسان أيضاً موصوفاً بالعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام.

فما كان جواباً لهم هنا، كان جواباً لنا في باقي الصفات، فإن القول في صفة من صفاته تعالى كالقول في باقي الصفات في الإثبات.

وأما في التنزيه، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما انكم تقدسون ذات الباري عن مشابهة المخلوقات، فقدسوا صفاته عن مشابهة صفات المخلوقات، فلا مانع من إثبات باقي الصفات أيضاً لذلك.

دون[1] القدح والطعن فيهم، وإن هذه عقيدة أصحاب الشافعي رحمة الله عليه،[2] يدينون الله تعالى بها ويلقونه بإعتقادها ويبرؤون إليه من سواها، من غير شك ولا إنحراف عنها.

وما لهذه العصابة مستند، ولا للحق مغيث يعتمد إلا الله تعالى، ورأفة المجلس السامي الأجلي العالمي العادلي القوامي النظامي[3] الرضوي، أمتعه الله بحياة يأمن خطوبها، باسمة فلا يعرف قطوبها، فإن لم ينصر ما أظهره ويشيد ما أسسه وعمره،[4] بأمر جزم وعزم وحتم، يزجر أهل الغواية عن غيهم، ويردع ذوي العناد عن بغيهم، ويأمر بالمبالغة في تأديبهم، رجع الدين بعد تبسمه قطوباً وعاد الإسلام كما بدأ غريباً، وعيونهم ممتدة إلى الجوانب بنيل المأمول والمراد، وقلوبهم متشوقة إلى النصرة والإمداد، فإن هو لم ينعم

---

(١) أي فضلاً عن القدح والطعن فيهم. فإن لفظ دون من الأضداد يأتي بمعنى أقل ويأتي بمعنى فوق أو أكثر. كما يأتي بمعنى أمام ووراء. ويأتي بمعنى غير، ومنه قوله تعالى ﴿ولهم أعمال دون ذلك هم لها عاملون﴾ سورة المؤمنون: ٦٣. أنظر تفسير غريب القرآن لإبن قتيبة (ص٣٩٨)، وأنظر القاموس (٤: ٢٢٣).

(٢) وأما الإمام الشافعي ذاته، فقد أثبت لله ما أثبت لنفسه من غير تأويل، فقال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً روسل الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء. ا.هـ العلو للعلي الغفار (ص١٢٠) لكنه أشار إلى أن في سنده ضعف.

(٣) المقصود به نظام الملك.

(٤) المقصود به المدرسة النظامية، فإنه أسسها لنصرة المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية ضد الإعتزال والرفض.

النظر في الحادث الذي طرقهم، ويصرف معظم همه العالية إلى الكارث الذي أزعجهم وأقلقهم، ويكشف عن الشريعة هذه الغمة ويحسم نزغات الشيطان بين هذه الأمة، كان عن هذه الظلامة يوم القيامة مسئولاً إذ قد أديت إليه النصائح والأمانات من أهل المعارف والديانات، وبرئوا من عهدة ما سمعوه، بما أدوه إلى سمعه العالي، وبلغوه الحجة لله تعالى، متوجهة نحوه بما مكنه في شرق الارض وغربها وبسط قدرته في عجمها وعربها وجعل إليه القبض والإبرام، واصطفاه من جميع الأنام، فما ترد نواهيه وأوامره ولا تعصى مراسمه وزواجره، والله تعالى بكرمه يوفقه ويسدده، ويؤيد مقاصده ويرشده، ويقف فكرته وخواطره، على نصرة ملته وتقوية دينه وشريعته بمنه ورأفته وفضله ورحمته. ـ إلى هنا انتهى المحضر ـ.

ثم قال ابن عساكر: صورة الخطوط:

الأمر على ما ذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الأوحد أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري أكثر الله في أئمة الدين مثله من عقد المجالس، وذكر الله عز وجل بما يليق به، من توحيده وصفاته ونفي التشبيه عنه، وقمع المبتدعة من المجسمة والقدرية، وغيرهم.

ولم أسمع منه[1] غير مذهب أهل الحق، من السنة والجماعة وبه أدين الله عز وجل، وإياه أعتقد، وهو الذي أدركت أئمة أصحابنا

(١) أي مما ذكر في المحضر، فإن السلف يثبتون الصفات السبع المذكورة في المحضر وينفون التشبيه والتجسيم، وإن كانوا يزيدون على ذلك الإيمان بباقي الصفات التي أثبتها الشرع في الكتاب وصحيح السنة. وسيأتي بيان ذلك عند الترجيح والمناقشة الآتية إن شاء الله تعالى.

عليه، ولم يبقَ من المبتدعة الا نفر يسير، فحملهم الحسد والغيظ على سبه، وسب الشافعي، وأئمة اصحابه، ونصار مذهبه، وهذا أمر لا يجوز الصبر عليه، ويتعين على المولى أعز الله نصره التنكيل بهذا النفر اليسير، الذين تولوا كبر هذا الأمر وطعنوا في الشافعي وأصحابه، لأن الله عز وجل أقدره وهو الذي برأ في هذا البلد بإعزاز هذا المذهب بما بنى فيه من المدرسة التي مات كل مبتدع من المجسمة والقدرية غيظاً منها، وبما يرتفع فيها من الأصوات بالدعاء لأيامه، استجاب الله فيه صالح الأدعية.

ومتى أهمل نصرهم، لم يكن له عذر عند الله عز وجل. وكتب ابراهيم بن علي الفيروز أباذي. ا. هـ[1]

ثم وقع عليه: الحسين بن محمد الطبري[2].

ووقع عليه أيضاً الإمام عبيد الله بن سلامة الكرخي.[3]

ومحمد بن أحمد الشاشي.[4]

وسعد الله بن محمد الخاطب.[5]

---

(١) تبيين كذب المفتري. ص٣١٣.

(٢) المصدر السابق (ص٣١٤).

(٣) نفس المصدر (ص٣١٤).

(٤) نفس المصدر (ص٣١٥).

(٥) نفس المصدر (ص٣١٥).

والحسين بن أحمد البغدادي.[1]

وعزيزي بن عبد الملك[2].

الدليل السادس:

إن المقريزي نص في خططه على أن الشيخ أبا إسحاق كان أشعرياً فقال: وحقيقة مذهب الأشعري رحمه الله: أنه سلك طريقاً ـ أي في توحيد الأسماء والصفات ـ بين النفي الذي هو مذهب الإعتزال وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم[3] وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه.

فمال إليه جماعة وعولوا على رأيه، منهم: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ ابو إسحاق والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، والإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي وغيرهم ممن يطول ذكره.

ـ قال ـ ونصروا مذهبه وناظروا عليه، وجادلوا فيه، واستدلوا في مصنفات لا تكاد تحصر، فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلاثمائة وإنتقل منه إلى الشام.ا.هـ

وممن نحا هذا النحو من المعاصرين الأستاذ محمد حسن هيتو

---

(١) نفس المصدر (ص٣١٦).

(٢) نفس المصدر (ص٣١٧).

(٣) خطط المقريزي حـ٣ ص٣٠٦.

في ترجمته للإمام الشيرازي، فقال: المهم ان نعرف أن الشيرازي أشعري صميم، لم يخالف في ذلك ولم يخرج عنه ولا نعرف له رأياً غير ما يراه الأشعري ويعتقده[1] .ا.هـ

(١) الإمام الشيرازي (ص١٢١).

obeikandl.com

المبحث الثاني: ذكر ما يفيد ان الشيخ أبا إسحاق كان سلفياً

لقد وقع لي مما يفيد أن الشيخ أبا إسحاق لم يكن أشعرياً بل كان سلفياً يعتقد ما يعتقده الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ثمانية نقول وهي:

النقل الأول:

قال الشيخ أبو الحسن الكرجي: ومعروف شدة الشيخ أبي حامد ـ الاسفرائيني ـ على أهل الكلام، ـ ومنهم الأشاعرة ـ حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري، وعلقه عنه الإمام أبو بكر الزاذقاني، وهو عندي.

ـ قال ـ: وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق في كتابيه اللمع والتبصرة، حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ـ الشافعية ـ ميزه، وقال: وهو قول بعض أصحابنا، وبه قالت الأشعرية. ولم يعدهم من أصحاب الشافعي، استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه، فضلاً عن أصول الدين[1] .ا.هـ

أي فلو كان أشعرياً، لما ميز بينهم وبين الشافعية، ولقال وهو قول أصحابنا.

النقل الثاني:

ما ذكره ابن عساكر عن بعض الناس، ان الشيخ أبا إسحاق

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥: ٣٣٩).

مخالف للأشعري، إستدلالاً بقوله في التبصرة: وقالت الأشعرية ليس للأمر صيغة[1] .ا.هـ فإن هذا النقل يدل على أن من الناس من يعتقد أن الشيخ أبا إسحاق مخالف للأشعرية. وكون ابن عساكر لا يرتضى ذلك، ويصف من ظن ذلك بأنه لا يفهم، لا ينفي أن يكون ثمة من يرى بأن الشيخ مخالف للأشعرية.

النقل الثالث:

يوم أن وقعت الفتنة بسبب خطب ومحاضرات أبي نصر بن القشيري في المدرسة النظامية، والتي هاجم فيها الحنابلة وذمهم فذهب ضحية تلك الفتنة عشرون قتيلاً فضلاً عن الأموال والمحال التجارية التي نهبت في سوق النظامية، مما هدد بنشوب حرب أهلية في بغداد[2] قد تكون لها آثار خطيرة علىالطرفين، مما حدا بالخليفة المقتدي بأمر الله أن يتدخل في حل الأزمة بين الطرفين، فجمع ابن جهير الشريف أبا جعفر شيخ الحنابلة والشيخ أبا إسحاق شيخ الشافعية ومدير المدرسة النظامية التي هي مركز بث العقيدة الاشعرية بالإضافة إلى أبي نصر القشيري وجماعة من الشافعية، وعرض على الفريقين ان يتصالحا، فرغب الشيخ أبو إسحاق في الصلح لإطفاء نار الفتنة بين الطرفين، ودلل على ذلك بأن تقدم إلى الشريف أبي جعفر وقال له: «أنا ذاك الذي تعرف، وهذه كتبي في أصول الفقه أقول فيها خلافاً للأشعرية، ثم قبل رأسه[3] .

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢٧٧).

(٢) التبصرة (ص٢٢).

(٣) وتمام الحوار: فقال الشريف: قد كان ما تقول، الا أنك لما كنت فقيراً لم =

فقد نص الشيخ أبو إسحاق في هذا الحوار على مخالفته للأشاعرة، ورده عليه وأشار إلى أنه أثبت ذلك الرد فيما ألفه في الأصول، يعنى كتابيه التبصرة واللمع.

النقل الرابع:

ما ذكره ابن تيمية في الفتاوي فقال: اهتم كثير من الملوك والعلماء بأمر الإسلام وجهاد أعدائه، حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهمية وغيرهم على المنابر حتى لعنوا كل طائفة رأوا فيها بدعة فلعنوا الكلابية والأشعرية، كما كان في مملكة الأمير محمود بن سبكتكين، وفي دولة السلاجقة إبتداء، وكذلك الخليفة القادر، ربما اهتم بذلك، واستشار المعتزلة ـ أي من اعتزل تلك الفرق المبتدعة ـ من الفقهاء، ورفعوا إليه أمر القاضي أبي بكر ـ الباقلاني ـ ونحوه وهموا به، حتى كان يختفي[1]، وإنما تستر بمذهب الإمام أحمد

= يظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجا بزرك ـ يعني نظام الملك ـ أبديت ما كان مخفياً. فتقدم إبن القشيري منه ولم يكن أبو جعفر يعرفه، فلما تعرف عليه قال: لو جاز أن يشكر أحد على بدعته، لكان هذا الشاب لأنه باد هنا بما في نفسه ولم ينافق. ثم قال للوزير: أي صلح بيننا، انما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية أو دنيا أو قسمة ميراث، أو تنازع في ملك، فأما هؤلاء القوم ـ يعني الشافعية الأشعرية ـ فهم يزعمون أننا كفار، ونحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كافر، فأي صلح بيننا. ا.هـ

مقدمة طبقات الفقهاء (ص١٠).

(١) نقل في الفتاوى الكبرى لإبن تيمية (٥: ٢٣٩) عن الشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي قوله: سمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي يقول: سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد أظن الشيخ أبا إسحاق =

وموافقته ثم ولى النظام ـ يعني الوزير نظام الملك ـ وهو أشعري ـ وسعوا في رفع اللعنة، واستفتوا من استفتوه من فقهاء العراق، كالدامغاني والشيرازي، وفتواهما حجة علىمن بخراسان من الحنفية والشافعية.

ـ ثم قال ابن تيمية ـ وقد قيل إن أبا إسحاق إستعفى من ذلك، فألزموه، وأفتوا بأنه لا يجوز لعنتهم، ويعزر من يلعنهم.

ثم بين ابن تيمية ان فتواهم هذه لا تدل على رضاهم بمذهب الأشاعرة، فقال: وعلل الدامغاني ـ أي عدم جواز لعنهم ووجوب تعزير من يلعنهم ـ بأنهم طائفة من المسلمين، وعلل أبو إسحاق مع ذلك: بأن لهم ذباً ورداً على أهل البدع المخالفين[1] .ا.هـ

النقل الخامس:

ما ذكره الأستاذ عبد المجيد تركي في مقدمته لكتاب الوصول إلى مسائل الأصول للشيخ أبي إسحاق فقد قال: والمرجح ان ابن الصباغ لم يكن يقول بمقالة الأشاعرة، وإنما كان على غرار الشيرازي على عقيدة السلف الصالح، ويبدو هذا من خلال كتابه الوحيد الذي وصل إلينا من كامل كتبه أي كتاب الطريق السالم[2] .ا.هـ

= الشيرازي أحدهم قالوا: كان ابو بكر الباقلاني يخرج إلى الحمام متبرقعاً، خوفاً من الشيخ أبي حامد الإسفرائيني.ا.هـ أي لما كان عليه من الشدة على الأشاعرة المتكلمين لسوء مذهبهم في الأسماء والصفات.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤: ١٥).

(٢) مقدمة الوصول إلى مسائل علم الأصول (ص٣٧).

النقل السادس:

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي: قال فالفقيه أبو محمد ـ يعني والد أبي المعالي الجويني ـ إنما منع اللعن وأمر بتعزير اللاعن ـ أي للأشعرية ـ لأجل ما نصروه من أصول الدين وهو ما ذكرناه من موافقة القرآن والسنة والحديث، والرد على من خالف القرآن والسنة والحديث.

ـ قال ابن تيمية ـ ولهذا كان الشيخ أبو إسحاق يقول: إنما نفقت الأشعرية عند الناس ـ أي وقع لها القبول عندهم ـ بإنتسابهم إلى الحنابلة ـ لأنهم أهل الحديث ـ.

ـ قال ابن تيمية ـ: وهذا ظاهر عليه وعلى أئمة أصحابه في كتبهم، ومصنفاتهم قبل وقوع الفتنة القشيرية.

ـ قال ـ ولهذا قال أبو القاسم بن عساكر في مناقبه[1] ـ أي أبي الحسن الاشعري ـ مازالت الحنابلة والأشاعرة في قديم الدهر متفقين غير مفترقين، حتى حدثت فتنة ابن القشيري[2] .ا.هـ

---

(١) سيذكره ابن تيمية رحمه الله عن ابن عساكر مختصراً، وإلاّ فعبارة ابن عساكر هكذا: أنهما ـ أي أحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري ـ كانا في الإعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين، ولم تزل الحنابلة ببغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات تعتضد بالأشعرية على أصحاب البدع، لأنهم المتكلمون من أهل الإثبات، فمن تكلم منهم في الرد على مبتدع فبلسان الأشعرية يتكلم ومن حقق منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلم، فلم يزالوا كذلك حتى حدث الإختلاف في زمن ابي نصر القشيري ووزارة النظام ـ أي نظام الملك ـ ا.هـ تبيين كذب المفترى ص ١٦٣.

(٢) مجموع الفتاوي (٤: ١٧).

النقل السابع:

وهو ما ذكر من أن الشيخ أبا إسحاق قد صنف كتاباً في العقيدة سماه: عقيدة السلف. وقيل هو نفس كتابه نصح أهل العلم الا أن في صحة نسبة كتاب عقيدة السلف إليه نظراً، سيأتي بيانه عند الكلام على مؤلفات الشيخ أبي إسحاق، إن شاء الله تعالى.

النقل الثامن:

ما ذكره الزركشي في البحر المحيط[1] عن الشيرازي بعد قوله ويسمى الله تعالى دليلاً بالإضافة، فقال: وأنكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابه «الحدود»[2] قال: ولا حجة في قولهم لله تعالى يا دليل المتحيرين، ـ ثم علل ذلك تعليلاً سلفياً فقال ـ: لأن ذلك ليس من قول النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه، وإنما هو من قول أصحاب العكاكيز[3] .ا.هـ

وممن نحا هذا النحو، من أن الشيخ أبا إسحاق كان على عقيدة السلف، الأستاذ عبد المجيد تركي، في تقديمه لكتابه الوصول إلى مسائل الأصول للشيخ أبي إسحاق.[4]

---

(١) وهو كتاب في الاصول، لا زال مخطوطاً، وهو موجود في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٨٣ مادة الاصول، كما أشار الى ذلك الأستاذ محمد حسن هيتو في ترجمته للإمام الشيرازي (ص.١٨)،وتوجد منه نسخة في مركز البحث العلمي بالجامعة مصورة عن تلك المذكرة.

(٢) أي في التعريفات، ولعله على غرار كتاب التعريفات للزنجاني.

(٣) البحر المحيط جـ ١ الورقة الحادية عشرة الصفحة اليسرى منها أنظر الإمام الشيرازي للأستاذ هيتو (ص١٨١).

(٤) أنظر مقدمة الوصول (ص٣٧).

المبحث الثالث: في الترجيح والمناقشة

بالنظر في هذه النقول، يتبين لنا رجحان القول بأن الشيخ أبا إسحاق كان على عقيدة السلف، لقوة دلالة ما ذكرناه من النقول الدالة على ذلك، وأما الأدلة الأخرى فمتأولة بما يلي:

تأويل النقل الأول:

إن كون الشيخ أبي إسحاق يتسلم إدارة المدرسة النظامية لا يدل على انه موافق على عقيدة مؤسسها نظام الملك، لأنه ربما رأى ان الهدف من بناء المدرسة وهو ملاحقة عقيدة التجسيم والتشبيه التي كان يقول بها الكرامية، أتباع محمد بن كرام السجزي.[1] ووافقهم عليها بعض الحنابلة، يخدم جزءاً من هدفه هو، وهو نشر عقيدة السلف، بمثل ما يخدمها ملاحقة عقيدة المعتزلة التي انتشرت في اوساط الشيعة الروافض، ولذلك نجده قد نشط في بعض مؤلفاته كالتبصرة واللمع وعقيدة السلف ان صحت نسبته إليه، بعد أن شعر بضعف نحلة المعتزلة والكرامية،[2] نشط في مقارعة الأشعرية والرد عليها، ولذلك أشار للشريف أبي جعفر بن أبي موسى إلى ما كتبه في الاصول من مخالفته فيها للأشعرية، بل ورده عليها، وقد تقصيت المواضع التي رد عليهم فيها في كتابه التبصرة، فألفيتها تسعة عشر موضعاً، وإليك سردها على ترتيبها فيه:

الأول: ان الأمر إستدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه. خلافاً

---

(١) توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين، وقد أسرف في إثبات الصفات حتى أفضى به ذلك إلى القول بالتجسيم والتشبيه.

(٢) والدليل على ذلك ما مر في توقيعه على المحضر، إذ قال: ولم يبق من المبتدعة الأنفر يسير... الخ. انظره في المبحث الأول من هذا المطلب.

للجمهور ومنهم الاشعرية.[1].

الثاني: للأمر صيغة موضوعة في اللغة، وقالت الأشعرية ليس للأمر صيغة.[2]

الثالث: إذا تجردت صيغة الأمر إقتضت الوجوب. وقالت الأشعرية: إذا ثبت كون الصيغة للإستدعاء وجب التوقف فيها ولا تحمل على الوجوب ولا على غيره إلا بدليل.[3]

الرابع: الصوم واجب على المريض والمسافر والحائض في حال المرض والسفر والحيض، وما يأتون به عند زوال العذر فهو قضاء لما وجب عليهم في حال العذر.

وقالت الأشعرية: ـ أي بعضهم كما في الهامش ـ لا يجب على المريض والحائض، وأما المسافر فعليه صوم أحد الشهرين، إما شهر الاداء وإما شهر القضاء، وأيهما صام كان أصلاً، كالأنواع الثلاثة في كفارة اليمين.[4]

الخامس: في الهامش ـ قال في اللمع ـ وله ـ أي للنهي ـ صيغة تدل عليه، وقالت الأشعرية ليس له صيغة.[5]

---

(١) التبصرة (ص١٧).

(٢) نفس المصدر (ص٢٢).

(٣) نفس المصدر (ص٢٦) والتي تليها.

(٤) نفس المصدر (ص٦٧).

(٥) التبصرة (ص٩٧).

السابع: للعموم صيغة بمجردها تدل على إستغراق الجنس والطبقة.

وقالت الأشعرية: ليس للعموم صيغة، وما يرد من ألفاظ الجمع فلا يحمل على العموم ولا على الخصوص إلا بدليل.[١]

الثامن: أقل الجمع ثلاثة. ومن أصحابنا من قال: إثنان وهو مذهب ابن داود ونفطويه والقاضي أبي بكر ـ الباقلاني ـ الأشعري.[٢]

التاسع: إذا تعارض لفظان، خاص وعام، بنى العام على الخاص، وقال بعض المتكلمين: لا يقضى على العام بالخاص بل يتعارض الخاص وما يقابله من العام، وهو إختيار أبي بكر ـ الباقلاني ـ الأشعري وأبي بكر الدقاق.[٣]

العاشر: إذا تعقب جملاً عطف بعضها على بعض رجع إلى الجميع، وقال أصحاب أبي حنيفة: يرجع إلى أقرب مذكور فقط، وقالت الأشعرية: هو موقوف على الدليل.[٤]

الحادي عشر: الوضوء والصلاة والزكاة والصيام والحج أسماء منقولة من اللغة إلى معان وأحكام شرعية إذا أطلقت حملت على تلك الأحكام والمعاني.

ومن أصحابنا من قال: إنه لم ينقل شيء من ذلك عما وضع له اللفظ في اللغة، وإنما ورد الشرع بشرائط وأحكام مضافة إلى ما وضع له اللفظ في اللغة. وهو قول

---

(١) نفس المصدر (ص١٠٥).

(٢) نفس المصدر (ص١٢٧).

(٣) نفس المصدر (ص١٥١).

(٤) نفس المصدر (ص١٧٢) والتي تليها.

الاشعرية.[1]

الثاني عشر: ما فعله النبي ﷺ وعلم أنه فعله على وجه الوجوب أو الإستحباب أو الإباحة شاركته الأمة فيه وكذلك ما أمر به شاركته الأمة فيه، ما لم يدل الدليل على تخصيصه وقالت الأشعرية: لا تشاركه فيه الأمة إلا بدليل.[2]

الثالث عشر: للخبر صيغة تدل عليه بنفسه في اللغة.

وقالت الأشعرية: ليس للخبر صيغة تدل عليه بنفسه.[3]

الرابع عشر: إذا قال الصحابي: قال رسول الله ﷺ فهو كالمسند إليه سماعاً منه.

وذهب بعض الناس إلى أنه ليس كالمسند إليه سماعاً، وهو قول الأشعرية.[4]

الخامس عشر: لا يعتبر في صحة الإجماع إتفاق العامة.

وقال بعض المتكلمين: إتفاق العامة مع العلماء شرط في صحة الإجماع وهو قول أبي بكر ـ الباقلاني ـ الأشعري، وقال بعضهم يعتبر إتفاق الأصوليين.[5]

السادس عشر: إذا قال الصحابي قولاً وظهر ذلك في علماء الصحابة وإنتشر ولم يعرف له مخالف كان ذلك إجماعاً مقطوعاً به ومن أصحابنا من قال: هو حجة وليس بإجماع. وقال أبو علي بن أبي هريرة: إن كان ذلك حكماً من حاكم منهم، لم يكن ذلك

---

(١) نفس المصدر (ص١٩٥).

(٢) نفس المصدر (ص٢٤٠).

(٣) نفس المصدر (ص٢٨٩).

(٤) نفس المصدر (ص٣٣٥).

(٥) نفس المصدر (ص٣٧١).

إجماعاً وقال القاضي أبو بكر الأشعري: ليس بحجة أصلاً، وهو مذهب داود.[1]

السابع عشر: جعل المعلول علة والعلة معلولاً لا يمنع من صحة العلة، وذلك مثل أن يقول الشافعي في ظهار الذمي: من صح طلاقه صح ظهاره كالمسلم، فيقول الحنفي: المسلم لم يصح ظهاره لأنه يصح طلاقه، بل صح طلاقه لأنه يصح ظهاره.

وقال أصحاب أبي حنيفة: يمنع هذا صحة العلة. وهو مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني ـ.[2]

الثامن عشر: الحق من قول المجتهدين في الفروع واحد...

وذهب كثير من الاشعرية إلى أن كل مجتهد مصيب.[3]

التاسع عشر: الاعيان المنتفع بها قبل أن يرد الشرع على الوقف في قول كثير من أصحابنا، فلا نقول إنها مباحة ولا محظورة، هو قول الصيرفي وأبي علي الطبري ومذهب الأشعري.[4]

هذا ما كان منه في التبصرة، وقد ذكر خلاف الأشاعرة أيضاً في كتابه اللمع، فأرجع إليه في هذه المواضع تجد النص عليها فيه أيضاً.

ومن هنا تجد صحة قول الشيخ الحسن الكرجي، الذي يقول فيه: ومعروف شدة الشيخ أبي حامد ـ الإسفرائيني ـ على أهل الكلام، حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري وعلقه عنه الإمام أبو بكر الزاذقاني، وهو عندي، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق في

---

(١) نفس المصدر (ص٣٩١).

(٢) نفس المصدر (ص٤٧٩).

(٣) نفس المصدر (ص٤٩٨).

(٤) نفس المصدر (ص٥٣٢).

كتابيه اللمع والتبصرة، حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميزه، وقال: هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الأشعرية، ولم يعدهم من أصحاب الشافعي، إستنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدين[1] .ا.هـ

تأويل النقل الثاني:

إن إبن عساكر إعتمد في الرد على من ظن أن الشيخ أبا إسحاق ليس اشعرياً، على ما كان الشيخ قد أفتى به من عدم جواز لعن الأشعرية، وأوجب على ولي الأمر أن يعزر من يفعل ذلك.

وهذا لا يكفي في الدلالة على الدعوى من وجهين:

الأول: أن لعن المسلم لا يجوز على وجه التعيين مطلقاً، موافقاً كان او مخالفاً[2] .

والوجه الثاني: أن الشيخ أبا إسحاق كما قال إبن تيمية قد علل عدم جواز لعنهم، «**بأن لهم ذباً ورداً على أهل البدع المخالفين للسنة**»،[3] وأما وصفه إياهم بأنهم أهل السنة، فمراده أنهم الأقرب إلى أهل السنة، لموافقتهم لهم في إثبات بعض الصفات، وإن كانوا قد خالفوهم في الباقي. وأيضاً فإن الإمام أبا الحسن الأشعري كان يردد في غير ما موضع من كتبه، كما قال إبن السبكي: بان عقيدته هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل[4] .ا.هـ ومن هنا أصبح الأشاعرة ينسبون إلى أهل السنة، وأما الحقيقة فإن بين السلف

---

(١) الفتاوي الكبرى (٥: ٣٣٩).

(٢) لما روى مسلم عن ثابت بن الضحاك مرفوعاً: ولعن المؤمن كقتله كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم ١٧٦.

(٣) مجموع الفتاوي (٤: ١٥).

(٤) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٩).

والأشاعرة فرقاً شاسعاً من وجوه عديدة، قد يبلغ الرئيسي منها خمسة عشر وجهاً.[1]

وبهذه الإجابة نكون قد أجبنا عن النقل الثالث أيضاً. ونزيد على ذلك، فنقول: أن بيان سبب ورود هذا الإستفتاء يلقي أضواء على الجواب الذي أجاب به الشيخ أبو إسحاق.

ذلك أنه لما كانت الصولة للسلاطين البويهيين، إنتشر في البلاد مذهب الرفض والتشيع والإعتزال، حتى إذا ما تمكن السلاجقة الأتراك من القضاء عليهم، عملوا على تخليص العالم الإسلامي مما لصق به من أدران معتقداتهم، وضلال مذاهبهم، فأمر السلطان طغر لبك وكان سنياً، بلعن أهل البدع على المنابر والجمع، فقرن، كما قال إبن عساكر، وزيره أبو نصر منصور بن محمد الكندري وكان معتزلياً رافضياً إسم الأشاعرة بأهل البدع، وجعل الناس يلعنونهم معهم حتى نكب العديد من الأئمة في نيسابور كالإمام أبي القاسم القشيري وأبي المعالي الجويني، فهجرا البلد والأهل والولد، حتى قيض الله لهذه الغمة من رفعها، ولهذه الفتنة من أزالها بعد أن هلك ذلك الوزير، ومات ذلك السلطان، وولى بعده إبنه ألب أرسلان واستوزر أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق، فأعز الله بهما أهل السنة، فأمرا بإسقاط ذكر الأشاعرة من اللعن والثلب، وأمرا بقمع أهل النفاق والبدع[2] بعد أن أوصل إليه الإمام أبو بكر البيهقي كتاباً، اوضح له فيه ذلك اللبس وأخبره بحقيقة عقيدة أبي الحسن الأشعري وضلال

---

(١) أنظر بحث الأستاذ سفر الحوالي: منهج الأشاعرة في العقيدة.

(٢) أنظر تأويل إبن عساكر لتلك الفتنة في تبيين كذب المفتري (ص١٠٨).

المعتزلة والروافض،[1] فكانت المنحة بعد المحنة. ولذلك سأل الناس عن حكم من إجتمعوا على لعن الأشاعرة والشيخ أبو إسحاق ينظر إلى المسألة من حيث هي عدوان من أهل الرفض والإعتزال على أتباع أبي الحسن الأشعري ولا يعنى بذلك عرض الاشعرية على مذهب السلف ثم الحكم عليهم من خلال ذلك.

ولا شك أن مقارنة الاشاعرة بالمعتزلة، يوجب تقديم الأشاعرة عليهم، لأنهم أقرب إلى السنة منهم قطعاً، لأن مقدار ما يتفقون معهم فيه من الحق أكثر مما يتفق المعتزلة فيه مع أهل السنة، فإستحقوا الحمد من هذه الحيثية.[2]

وعن تأويل النقل الرابع:

وهو أنه إنضم إبان الفتنة إلى أبي نصر القشيري، نقول أن ذلك لا يدل على أنه منهم، لأنه رأى أن الإنضمام في الصراع إلى من هم أقرب إلى أهل السنة وأعني بهم الأشعرية، ينسجم مع مبدئه وهو نصرة مذهب أهل السنة من خلال أقرب الفرق إليهم، وما ذكرناه في تأويل النقل الاول يصلح جواباً عما هنا أيضاً، وبالله تعالى التوفيق.

ذكر تأويل النقل الخامس:

وهو ما ورد في المحضر، وتأييد الشيخ أبي إسحاق لما فيه حيث وقع عليه، بعد أن أكد ما فيه، بما يفيد نصرة ما أثبته الأشعرية لله تعالى من الصفات، والرد على المجسمة والمشبهة وإستنصار الوالي عليهم.

ونحن نرى أن كل ذلك حق فإن ما أثبته الأشاعرة لله تعالى من

---

(١) أنظر نص الكتاب المذكور في تبيين كذب المفتري (ص١٠٠) وما يليها.

(٢) أنظر هذا المعنى في مجموع الفتاوي (٤: ١٦٧).

الصفات العقلية السبع صحيح،[1] وأهل السنة متفقون معهم فيها ولا شك، إلا أنهم يزيدون عليها إثبات كل ما ورد به الشرع، كتاباً وسنة، من صفات الله تعالى، بلا تأويل ولا تكييف ولا تعطيل، فإذا إشتجر الأشاعرة مع المعتزلة في إثبات الصفات العقلية السبع فأهل السنة مع الأشاعرة في ذلك، لأن الحق في هذا المقدار من المختلف فيه بينهما، مع الأشاعرة دون المعتزلة، ولا يلزم من تصحيح مقالهم في هذا المقدار، تصحيح مذهبهم في سائر الصفات والشيخ أبو إسحاق أيدهم وناصرهم على هذا المعنى، فلا يوجب ذلك الحكم عليه بأنه كان أشعرياً، وبالله التأييد.

وأيضاً إذا إشتجر الأشاعرة مع الكرامية، في إثبات الصفات السبع، فأهل السنة مع الأشاعرة، لأن الكرامية قد أوغلوا في الإثبات فأفضى بهم ذلك إلى التجسيم والتشبيه. ولا يعني تأييدنا للأشاعرة في هذه السبع أن يكون قولهم في سائر الصفات حقاً، ولا أن نوسم بهذا التأييد بأننا أشاعرة. وبالله تعالى نتأيد.

وأما تأويل النقل السادس:

وهو أن المقريزي عد الشيخ أبا إسحاق في جملة مؤيدي أبي الحسن الأشعري في سلوكه الوسط بين المعتزلة النفاة، وبين الكرامية الموغلين في الإثبات، فهو أن المقريزي في هذا مقلد لإبن عساكر وأمثاله ممن إعتبروا الشيخ أبا إسحاق من الأشعرية، لما أوردنا من النقول الموحية بذلك، والجواب عليه، هو ما أجبنا به على تلك النقول.

---

(١) وهي ما ورد النص عليها في المحضر، وهي: العلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة والكلام. وانظر مجموع المتون متن الجوهرة (ص٤).

وأيضاً فقد فعل مثل ذلك الشيخ إبن السبكي، حيث عد الشيخ أبا إسحاق في جملة أصحاب أبي الحسن الأشعري، ونقل ذلك عن إبن عساكر.[1]

ولا عجب، فقد عد إبن عساكر علماء وائمة آخرين أيضاً في جملة الأشاعرة مع ما هم معروفون به من مناقضتهم للأشاعرة وتصريحهم بأنهم على مذهب السلف، من هؤلاء:

١ـ الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، المتوفي سنة تسعين واربعمائة صاحب كتاب «الحجة» مع كونه سلفى الإعتقاد فقد كان يقول: إن الله تعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، كما قال في كتابه[2] .ا.هـ

٢ـ الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني المتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة، صاحب «المحلية» مع أنه يقول في كتابه «الإعتقاد»: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه، يقول ـ أي السلف ـ بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه[3] .ا.هـ

٣ـ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن ثابت، المتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، صاحب «تاريخ بغداد» مع كونه سلفى الإعتقاد، فقد قال: أما الكلام في الصفات: فأما ما روى منها في السنن الصحاح، فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية

---

(١) أنظر الطبقة الرابعة في طبقات إبن السبكي (٢: ٢٥٨).

(٢) العلو للعلى الغفار (ص١٨٧)، وأنظر ترجمته في تبين كذب المفتري(ص٢٨٦).

(٣) العلو للعلى الغفار (ص١٧٦)، وأنظر ترجمته في تبين كذب المفتري(ص٢٤٦).

والتشويه عنها، والأصل فيها: أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ونحتذي في ذلك حذوه ومثاله، وإذا كان معلوماً إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا يد وسمع وبصر، فإنما هو إثبات صفات الله لنفسه ولا نقول أن معنى اليد: القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول إنها جوارح وأدوات للفعل، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول: إنما وجب إثباتها، لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] وقوله ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾[2] [3]. ا.هـ

وبجميع ما ذكرنا يتبين خطأ ما أبداه الأستاذ إحسان عباس في مقدمته لطبقات الفقهاء للشيرازي، من الجمع بين تلك النقول المختلفة عن عقيدته، حيث ذهب إلى أن الشيخ أبا إسحاق وافق أهل السنة في مسائل، والأشاعرة في مسائل أخرى، فجمع بين المذهبين[4]

ومن غريب ما رأيت في هذا الموضوع، ما ذهب إليه أحد المستشرفين المعاصرين، ويدعى جورج مقدسي، من أن الشيخ كان سلفياً ثم تحول إلى الأشعرية، تحت تأثير شخصية الوزير نظام

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة الصمد: ٤.

(٣) العلو للعلي الغفار (ص١٨٥)، وأنظر ترجمته في تبين كذب المفتري(ص٢٨٨).

(٤) أنظر طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٨).

الملك، وقد حكى الأستاذ عبد المجيد تركي رأيه هذا فقال: ويلاحظ جورج مقدسي أن الشيرازي إذ قبل منصبه الجديد في المدرسة أصبح عرضة لتأثير هذه الشخصية، وأنه في الحقيقة لم يكن يرغب في أن ينصب من النظامية منبراً للعقيدة الأشعرية، وإن هي إلا قوة ضغط نظام الملك التي جرته شيئاً فشيئاً إلى الإنسياق في طريق هذه الدعوة[1] .ا.هـ

وقد إستدل المذكور على ذلك، بالحوار الذي دار أثناء المصالحة التي قام بها الوزير إبن جهير بين الشيخ أبي إسحاق والشريف أبي جعفر بأمرالخليفة،بعد نشوب الفتنة بين الحنابلةوالشافعية،حيث قال الشيخ أبو إسحاق للشريف أبي جعفر شيخ الحنابلة:أنا ذاك الذي تعرفتعرف، وهذه كتبي في أصول الفقه،أقول فيها خلافاً للأشعرية. ثم قبل رأسه[2] .ا.هـ فجعل هذا النص دليلاً على مدى تأثير شخصية نظام الملك على الشيخ أبي إسحاق حيث جره ذلك عما كان يعرفه الشريف أبو جعفر عن الشيخ أبي إسحاق من متابعته لمذهب السلف، واقتضى ذلك أن يستدل له بمخالفته وردوده على الأشاعرة فيما كتبه في أصول الفقه.

وهذا الذي ذكره لا يدل على أنه أصبح أشعرياً بعد أن كان سلفياً، وإنما يدل على أنه كان سلفياً ولا زال سلفياً، وإن مناصرته لأبي نصر ابن القشيري ضد الحنابلة خلال الفتنة لا ينبغي أن يفهم منها الشريف أبو جعفر أنه أصبح مع الأشاعرة في معتقدهم، فقال له ما

---

(١) أنظر مقدمة كتاب الوصول (ص٣٧).

(٢) نفس المصدر.

قاله إزالة للبس الناتج عن موقفه المذكور.

وأما قوة تأثير شخصية نظام الملك، فقد كان الشيخ أبو إسحاق يستفيد منها في التأثير بها على خصومه من المشبهة، ولم يكن لها تأثير عليه هو.

وأيضاً فإن في ملاحظته تلك خطأ آخر، وهو أنه اعتبر إحجام الشيخ أبي إسحاق في بادىء الأمر عن القبول بالتدريس في النظامية إنما كان بسبب أنه لم يكن يرغب في أن تكون النظامية منبراً للعقيدة الاشعرية، وهذا التأويل وإن كان يخدم ما ذهبنا إليه من أن الشيخ كان سلفياً، إلا أنه لا يؤيده نقل تاريخي.

والنقل التاريخي إنما يؤيد التفسير القائل بأنه ترك التدريس فيها في بادىء الأمر تورعاً. وذلك لما نقل من أن شاباً أخبره وهو في طريقه إلى المدرسة النظامية يوم الإفتتاح،[1] بأن أكثر آلاتها مغصوبة، فعدل الشيخ عن ذلك، ولم يحضر،[2] بل غاب أياماً لا يدري أحد أين هو، ثم ظهر بعد أيام في مسجده بباب المراتب[3]

---

(١) وكان قد حضر المشايخ والعلماء ونظام الملك، وجمع غفير من الطلبة قد جاءوا لحضور مراسم إفتتاح المدرسة.

(٢) فاستدعى نظام الملك الإمام إبن الصباغ وقد كان سمي الشيخ أبي إسحاق ونظيره في الإمامة والعلم والإتقان، إلا أن الشيخ يفوقه في الخلافيات، فألقى درس الإفتتاح مكانه، ومارس التدريس فيها عشرين يوماً فقط، ثم عزل بالشيخ أبي إسحاق.

(٣) هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، وكان من أجل أبوابها وأشرافها، داخله محلة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف وذووا البيوتات القديمة، وكانت الدور بها عالية لها قيمة، ثم باد أهلها وانتقلوا عنها.ا.هـ مراصد الإطلاع (١٤٦:١).

حيث عاد إليه يلقي فيه دروسه عشرين يوماً، مارس خلالها تلاميذه عليه ضغوطاً ليقبل التدريس في النظامية، ففعل، وعزل إبن الصباغ، ودرس بعده الشيخ أبو إسحاق فيها إلى وفاته، أي ما يقرب من سبع وعشرين سنة، لأنها فتحت في يوم السبت من ذي الحجة سنة تسع وخمسين[1] وتوفي الشيخ سنة ست وسبعين وأربعمائة كما سيأتي بيانه في محله.[2]

---

(١) أنظر وفيات الأعيان (٣: ٢١٧) رقم ٣٩٩.

(٢) إنما جعلت هذا الرأي والذي قبله في آخر البحث، ولم ألحقها بالرأيين السابقين اوله لأنهما لا يعتمدان على نقل تاريخي موثق.

obeikandl.com

الفصل الخامس: في شعر الشيخ أبي إسحاق

كان الشيخ أبو إسحاق يقول ويحفظ منه الكثير،[1] وينشده مع من يجالسه، من غير أن يخل ذلك بوقاره، لإنتقائه منه أحسنه مما يتضمن الوعظ والإرشاد والإعتبار أو المنادمة والتسلي من غير ما سرف ولا مخيلة.

حضر يوماً عند يحيى بن علي بن يوسف بن القاسم بن يعقوب الصوفي برباطه بغزنة يعزّيه عن ابن شيخه المطهر بن أبي سعيد بن أبي الخير، وكان قد غرق في الماء بالنهروان، فأنشد:

غريق كأن الموت رق لأخذه فلان له في صورة الماء جانبه
أبى الله أن أنساه دهري فإنه توفاه في الماء الذي انا شاربه[2]

وفي مجال الوعظ أيضاً والتذكير بالصبر وفضائله وخوف الله تعالى، والصبر على قضائه وقدره، وتحمل تبعات الحياة ومكارهها وإن إشتدت، حتى تنفرج يقول:

صبرت على بعض الأذى خوف كله
وألزمت نفسي صبرها فاستقرت
وجرعتها المكروه حتى تدربت
ولو حملته جملة لاشمأزت
فيا رب عزّ جرّ للنفس ذله
ويا رب نفس بالتذلل عزت
وما العز إلا خيفة الله وحده
ومن خاف منه خافه ما أقلت

---

(١) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٧).

(٢) المنتظم (٩: ٦).

فيا صدق نفسي إن في الصدق حاجتي
فارضـــى بدنيـاي وإن هـــي قلـــت
واهجـــر أبـــواب الملـــوك فإننـــي
أرى الحـــرص جلابـــاً لكـــل مذلـــة
إذا مـــا مـــددت الكف ألتمس الغنى
إلـــى غيـــر مـــن قـــال إسألونـــي فشلت
إذا طـــرقتنـــي الحـــادثـات بنكبـــة
تذكـــرت مـــا عـــوقبت منـــه فقلـــت
ومـــا نكبـــة إلا ولله منـــة
إذا قابـــلتهـــا أدبـــرت وإضمحلـــت
تبـــارك رزاق البـــريـــة كلهـــا
علـــى مـــا أراد لا علـــى مـــا استحقت
فكـــم عاقـــل لا يستنيـــب وجاهـــل
تـــرقـــت بـــه أحـــوالـــه وتعلـــت[1]
وكـــم مـــن جليـــل لا يـــرام حجابـه
بـــدار غـــرور أدبـــرت وتـــولـــت
بشرب القذى بالصفو والصفو بالقذى
ولو حسنـــت فـي كـل حال لملّت [2]

---

(١) هذا البيت والذي يليه أصدق من قول أبي العلاء المعري:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقاً

قال إبن السبكي: وقد أحسن الذي قال نقضاً عليه:

كم عاقـل عاقـل أعيـت مذاهبـه ... وجـاهل جاهـل شبعـان ريانـاً
هذا الذي زاد أهل الكفر لا سلموا ... كفراً وزاد أهـل الإيمـان إيمانـاً

الطبقات (٣: ٩٧).

(٢) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٧).

وقال في مجال التذكير بالله واللجوء إليه بعد الذنب وطلب العفو منه:

يا عبدكم لك من ذنب ومعصية
إن كنت ناسيهـــا فالله أحصاهـــا
يا عبد لا بد من ذنب تقوم لـــه
ووقفة منك تدمى الجفن ذكراهـــا
إذا عرضت على نفسي تذكرهـا
وســاء ظنــي قلـت أستغفـــر الله[1]

ا.هـ

وفي الرجاء والتضرع إلى الله تعالى يقول:

لبست ثوب الرجاء والناس قد رقدوا
وقمـــت أشكـوا إلـى الله مـــا أجـد
وقلـت يـــا عدتـي فـي كـل نائبـــة
ومـــن عليـــه لكشـف الضـــر اعتمـد
أشكـوا إليـك أموراً أنـــت تعلمهـــا
مالي علـى حملهـــا صبـر ولا جلـــد
وقـــد مددت يـدي بالـــذل مبتهـــلاً
إليـك يـــا خيـر مـن مدت إليـه يـــد[2]

وعن التمسك بالصديق المخلص إذا وجد يقول:

سألـــت الناس عـــن خـلّ وفـــيّ
فقالـوا مـــا إلـــى هـــذا سبيـــل

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣:٩٨).

(٢) طبقات إبن السبكي (٣:٩٣).

obeikandl.com

تـــمسـك إن ظفـرت بـــودّ حـــرّ
فإن الحـــر فـــي الدنيـــا قليـــــل[1]

وللأصدقاء الأوفياء علامات تدل عليهم، وهؤلاء هم الذين يجب أن يحرص المرء على مصاحبتهم، لما في ذلك من فائدة دينية ودنيوية، فعن ذلك يقول الشيخ أبو إسحاق، فيما حكاه عنه أبو نصر، قال صحبت الشيخ أبا إسحاق في طريق فانشدني:

إذا طال الطريق عليك يوماً فليـــس دواؤه إلا الرفيـــق
تحدثـه وتشكـو مـا تلاقـي ويقرب بالحديث لك الطريق[2]

وفي دلالة العتاب على صدق المودة يقول:

إذا تخلفـــت عـــن صديـق ولـم يعاتبـك فـي التخلـف
فـلا تعـد بعـدهـا إليـــه فإنمـا ودّه عـن تكلـــــف[3]

والشيخ أبو إسحاق إذ يصاحب بعض أقرانه أو طلابه، لا ينسى أن القلوب تفتقر بين الحين والآخر في غمرة الجد وعناء البحث والدرس والتلقين، إلى شيء من اللهو البريء الذي لا يذهب بالهيبة والوقار ولا يبعد عن العودة إلى الجد ثانية، فقد كان الشيخ أبو إسحاق ربما إلتقى بخادمه في المدرسة النظامية أبي طاهر بن شيبان بن محمد الدمشقي يقول له مداعباً ومؤنساً:

وشيخنا الشيخ أبو طاهر جمالنا في السر والظاهر[4]

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٣)، تبيين كذب المفتري (ص ٢٧٨) وفيات الأعيان (١: ٢٩)، الفتح المبين (١: ٢٥٦).

(٢) المنتظم (٩: ٧).

(٣) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٣). ولعل زيادة حرف «عن» في الشطر الأخير من البيت الثاني ليصبح هكذا: «فإنما وده عن تكلف» أولى، ليستقيم وزن البيت.

(٤) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٢).

وانشد يوماً وهو يمشي في الوحل، ومعه تلميذه على بن مسكويه فأكثر من الأشعار، ثم إستدرك على نفسه ذلك، فقال ممازحاً:

أنشدنا الأشعار في الوحل هذا لعمرى غاية الجهل

فقال له تلميذه: **يا سيدي: بل هذا لعمرى غاية الفضل.**[1]

وداعب الشيخ أبو إسحاق ذات يوم أحد تلامذته، وهو المؤتمن إبن احمد بن الحسن بن عبيد الساجي، أبو نصر الربعي، من أعيان الحديث وأثباته، ولد سنة خمس وأربعين وأربعمائة، فقال له:

وشيخنا الشيخ أبو نصر لا زال في عز وفي نصر[2]

وربما تكلم الشيخ أبو إسحاق في مسألة، فسئل سؤالاً غير وجيه فيقول:

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب[3]

وهكذا كان الشيخ أبو إسحاق مليح الأشعار كثيرها، يضع الجميل منها في محله، فترتاح له النفس، ويحلو به المجلس.

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٢).

(٢) الإمام الشيرازي (ص١٥٦).

(٣) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٥).

الفصل السادس: في معرفة مشايخ الشيخ أبي إسحاق

تلقى الشيخ أبو إسحاق عن كثير من مشايخ عصره، المشهود لهم بالتقوى وطول الباع في العلم، مما أبقى في نفسه أثراً كبيراً في الجد وسأذكر اثني عشر من أبرز مشايخه الذين علق عنهم في مختلف الفنون، مع ملاحظة الترتيب الزمني لوفياتهم، في تسلسلهم:

١ـ الزجاجي:

بضم الزاي وتخفيف الجيم، هو القاضي أبو علي الحسن بن محمد بن العباس الطبري، المعروف بالزجاجي.

من أكابر فقهاء الشافعية، له كتاب: زيادة الفتاح.

أخذ العلم عن أبي العباس بن القاص.

وأخذ عنه فقهاء آمل، ومنهم القاضي أبو الطيب والشيخ أبو إسحاق.

لم تعرف سنة وفاته على وجه التحديد، لكنها في أوائل القرن الرابع، وقيل: قبل الأربعمائة،[١] لكن لو كان كذلك، فمتى أخذ عنه الشيرازي، وقد ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ومع ذلك فقد إستظهره إبن السبكي.[٢]

٢ـ الفامي: القاضي أبو الفرج.

أخذ العلم عن بشر بن الحسين، وكان إماماً في مذهب داود وعنه أخذ فقهاء شيراز مذهب داود.

وكان أيضاً رأساً في الكلام على مذهب المعتزلة.

---

(١) أنظر طبقات إبن هداية الله (ص١١٠)، طبقات الشيرازي (ص١١٧).

(٢) أنظر طبقات إبن السبكي (٢: ٢١١)، (٣: ١٤٦).

قال الشيخ أبو إسحاق: وكنت أناظره بشيراز وأنا صبي[1] .ا.هـ
قلت: توفي سنة ٤١٤هـ.[2]

٣ـ إبن البيضاوي:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد القاضي بالكرخ من بغداد.

عده الشيخ أبو إسحاق في جملة شيوخه وقال: سكن بغداد وتفقه على الداركي، وحضرت مجلسه وعلقت منه، وكان ورعاً حافظاً للمذهب، والخلاف موفقاً للفتاوي.ا.هـ[3]

وقد أخذ الشيرازي العلم عنه في شيراز وبغداد.

قال إبن السبكي: توفي فجأة ليلة الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وعشرين وأربعمائة.[4]

وقال أيضاً: قال الخطيب: كتبت عنه وكان ثقة صدوقاً ديناً شديداً.ا.هـ[5]

٤ـ البرقاني:

بكسر الباء وفتحها، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر.

عده الشيرازي في جملة شيوخه، في الطبقات فقال: ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وسكن بغداد، ومات بها أول يوم من رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة، تفقه في حداثته، وصنف في الفقه،

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٧٩).

(٢) طبقات إبن السبكي (٣: ٢٨٥).

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٧٩).

(٤) أنظر طبقات إبن السبكي (٣: ٦٣).

(٥) أنظر طبقات إبن السبكي (٣: ٦٣).

ثم اشتغل بعلم الحديث، فصار فيه إماماً.ا.هـ[1]

وقال فيه الإمام أبو بكر الخطيب: إستوطن بغداد،وحدث فكتبنا عنه، وكان ثقة، ورعاً، متقناً، فهماً، لم نر في شيوخنا أثبت منه، حسن الفهم له والبصيرة فيه.ا.هـ[2]

وقال أبو محمد الخلال: البرقاني نسيج وحده.ا.هـ[3]

٥ـ أبو علي بن شاذان:

هو الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران، أبو علي البزاز. ولد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة لإثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

سمع عثمان بن أحمد الدقاق، وأحمد بن سليمان العباداني وأحمد بن سليمان النجاد وغيرهم، وقد كان صدوقاً صحيح الكتاب.

وكان يفهم الكلام على مذهب الأشعري.

كتب عنه جماعة من المشايخ، منهم: أبو بكر البرقاني، ومحمد بن طلحة، وأبو محمد الخلال، وأبو القاسم الأزهري وغيرهم.

قال فيه أبو الحسن بن رزقويه: أبو علي بن شاذان ثقة.

وقال الأزهري: أبو علي شاذان من أوثق من برأ الله في الحديث، وسماعي منه أحب إلى من السماع من غيره.

وقال يحي بن محمد الكرماني: كنا يوماً بحضرة أبي علي بن شاذان، فدخل علينا رجل شاب لا يعرفه منا أحد، فسلم، ثم قال أيكم أبو علي بن شاذان، فأشرنا له إليه، فقال له: أيها الشيخ رأيت

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٢٧).

(٢) طبقات إبن السبكي (٣:١٩).

(٣) نفس المصدر.

رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: سل عن أبي علي بن شاذان، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم إنصرف الشاب.

فبكى أبو علي وقال: ما أعرف لي عملاً أستحق به هذا، اللهم إلا أن يكون صبري على قراءة الحديث، وتكرير الصلاة على النبي ﷺ كلما جاء ذكره.

قال الكرماني: ولم يلبث أبو علي بعد ذلك إلا شهرين أو ثلاثة حتى مات.

قال أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ: توفي إبن شاذان في ليلة السبت مستهل المحرم من سنة ست وعشرين وأربعمائة بعد صلاة العتمة.ا.هـ

قال إبن عساكر: وكان حنيفي الفروع[1] .ا.هـ

٦ـ ابن رامين:

أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد البغدادي.

وقد عده الشيخ أبو إسحاق في جملة مشايخه في طبقاته وقال: درس على الداركي وعلى أبي الحسن بن خيران، وسكن البصرة ودرس بها، وكان فقيها أصوليا، له مصنفات حسنة في الأصول[2] .ا.هـ

قال إبن السبكي: قال إبن النجار: إنه سمع من الدار قطني وحدث بالبصرة وتوفي في شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة[3] .ا.هـ

---

(١) أنظر تبيين كذب المفتري (ص٢٤٥).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٢٥).

(٣) طبقات إبن السبكي (٣:٢٨٦).

٧ـ القزويني:

أبو حاتم محمود بن الحسن الطبري.

تفقه بآمل على شيوخ البلد، ثم قدم بغداد، وحضر مجلس الشيخ أبي حامد ـ الإسفرائيني ـ ودرس الفرائض على أبي الحسين بن اللبان، وأصول الفقه على القاضي أبي بكر الأشعري رحمه الله، وكان حافظاً للمذهب والخلاف، صنف كتباً كثيرة في الخلاف والمذهب والأصول والجدل.

ودرس ببغداد وآمل، ولم انتفع ـ أي الشيرازي ـ بأحد في الرحلة كما انتفعت به، وبالقاضي أبي الطيب الطبري، وتوفي بآمل[١] سنة ٤٤٠[٢] هـ.ا.هـ

٨ـ الكرخي:

منصور بن عمر بن علي البغدادي. من أئمة الشافعية، تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفرائيني،وله عنه تعليقة وصنف في المذهب كتاب الغنية، ودرس ببغداد، وتوفي بها سنة سبع وأربعين وأربعمائة[٣].

روى عن ابن أبي طاهر المخلص وأبي القاسم الصيدلاني.

وروى عنه الخطيب البغدادي.

---

(١) طبقات الفقهاء (ص١٣٠)، وترجم له في تبيين كذب المفتري (ص٢٦)، تهذيب الاسماء (٢:٢٠٧)، رقم ٣١٦، وانظر طبقات إبن السبكي (٤:١٢).

(٢) الطبقات لإبن هداية الله (ص١٤٥).

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٢٩) والتي تليها.

توفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وأربعمائة.[1]

٩ـ أبو الطيب الطبري:

هو الإمام البارع في علوم الفقه، القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري من طبرستان، ثم البغدادي.

ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقاته فقال: هو شيخنا وأستاذنا، ولد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمسين وأربعمائة، وهو إبن مائة وسنتين، لم يختل عقله ولاتغير فهمه، يفتى مع الفقهاء، ويستدرك عليهم، ويقضي، ويشهد، ويحضر المواكب بدار الخلافة إلى أن مات.

قال: تفقه بآمل على أبي على صاحب إبن القاص، وقرأ على أبي سعد الإسماعيلي، وعلى القاضي أبو القاسم بن كج، ثم إرتحل إلى نيسابور، وأدرك أبا الحسن الماسرجسي صاحب أبي إسحاق المروزي، فصحبه أربع سنين، وتفقه عليه، ثم إرتحل إلى بغداد وعلق عن أبي محمد البافي ـ بالباء الموحدة والفاء ـ الخوارزمي، صاحب الداركي، وحضر مجلس الشيخ أبي حامد الإسفرائيني، ولم أر فيمن رأيت أكمل إجتهاداً، وأشد تحقيقاً واجود نظراً منه.

شرح مختصر المزنى، وصنف في المذهب والأصول والخلاف والجدل كتباً كثيرة ليس لأحد مثلها ـ قلت: منها تعليقة في نحو عشر مجلدات في الفقه كثير الإستدلال والأقيسة ـ.[2]

ولازمت مجلسه بضع عشرة سنة، ودرست أصحابه في مسجده

---

(١) أنظر طبقات إبن هداية الله (ص١٤٨) والتي تليها، مع الهامش. تاريخ بغداد (١٣: ٨٧)، الأنساب (ص٤٧٩).

(٢) كشف الظنون (: ٤٢٤)

ولازمت مجلسه بضع عشرة سنة، ودرست أصحابه في مسجده سنين بإذنه ورتبني في حلقته، وسألني أن أجلس في مسجده للتدريس، ففعلت ذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة، أحسن الله عنى جزاءه. ورضي عنه وأرضاه. ا.هـ[1]

قال النووي: قال أبو محمد البافي بالفاء: أبو الطيب الطبري أفقه من أبي حامد الإسفرائيني، وقال الإسفرائيني: أبو الطيب أفقه من البافي.

وقال الخطيب: وكان أبو الطيب ثقة صادقاً ديناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه، محققاً في علومه، سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب، جيد اللسان، يقول الشعر على طريقة الفقهاء. توفي يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ودفن من الغد في مقبرة باب حرب، وحضرت الصلاة عليه في جامع المنصور. ا.هـ[2]

قال إبن السبكي: وإذا أطلق الشيخ أبو إسحاق وشبهه من العراقيين لفظ القاضي مطلقاً في فن الفقه فإياه يعنون.[3] ا.هـ

١٠ـ الجلاب:

القاضي أبو عبد الله.

عده الشيخ أبو إسحاق في جملة مشايخه في شيراز، وقال: شيخنا القاضي أبو عبد الله الجلاب، خطيب شيراز وفقيهها. من أصحاب أبي

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٢٧).

(٢) تهذيب النووي (٢: ٢٤٧).

(٣) طبقات إبن السبكي (٣: ١٧٦).

نصر الحناط، وكان نظاراً، فصيحاً، أديباً، درست عليه بشيراز. ا. هـ[1]

١١ـ الشيرازي:

أبو عبد الله محمد بن عمر.

ذكره الشيخ أبو إسحاق مع مشايخه، في الطبقات وقال: ومنهم شيخنا أبو عبد الله محمد بن عمر الشيرازي، من أصحاب أبي حامد الإسفرائيني. قال: وهو أول من علقت منه بفيروز أباد.[2] ا. هـ

١٢ـ الغندجاني:

أبو أحمد بن عبد الرحمن بن الحسين.

ذكره الشيرازي في جملة مشايخه، وقال: علقت منه بشيراز والغندجان. وكان من أصحاب أبي حامد الإسفرائيني.[3] ا. هـ

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٣٣).

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٣٤).

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص١٣٦).

obeikandl.com

الفصل السابع: في بيان تلاميذ الشيخ أبي إسحاق

تلقى عن الشيخ أبي إسحاق الكثيرون من الطلبة، الذين أصبحوا فيما بعد أئمة في قومهم، منهم القاضي، ومنهم الخطيب ومنهم الواعظ، ومنهم المدرس وقد كثروا حتى صاروا في كل صقع من أصقاع المعمورة آنذاك[1]، لما أن بغداد كانت مركز إشعاع العلم والمعرفة حتى كان أبناء الأندلس يفدون إليها, لينهلوا من معينها. ويرجعوا إلى قومهم، فيحي الله بهم علوماً قد درست او كادت، وقد كان أبو الوليد الباجي المالكي واحداً من أولئك، فقد قام برحلة طويلة إلى المشرق استغرقت نحواً من ثلاثة عشر عاماً، نهل خلالها من علماء الشرق، ثم نشر علمه بين أهل الأندلس، فكان كغيث نزل بأرض جدباء، فأحيا الله به العلوم والفنون، وانتهت إليه الرياسة العلمية في وقته.

ولا غرو أن يكثر تلامذة الشيخ أبي إسحاق، «فقد درس ما يزيد على ثلاثين عاماً، وأفتى قريباً من خمسين»[2]. وهو مع ذلك طلق الوجه في درسه ومجالسه، دائم البشر، مليح المحاورة، يحكى الحكايات الحسنة، وينشد الأشعار المليحة ويحفظ منها كثيراً[3].

بل كان يمازح طلابه ومجالسيه، حكى أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر الخطيب الموصلي، قال: لما جئت إلى بغداد قاصداً الشيخ أبا إسحاق، رحب بي، وقال: من أي البلاد أنت؟

---

(١) انظر تهذيب النووي (٢: ١٧٣)، المجموع (١: ٣٣).

(٢) معجم البلدان (٣: ٣٨١).

(٣) انظر طبقات ابن السبكي (٣: ٩٢)، المنتظم (٩: ٦).

فقلت: من الموصل.

فقال: مرحبا، أنت بلديي، ـ أي من بلدي ـ.

فقلت: يا سيدي، أنا من الموصل، وأنت من فيروز أباذ.

فقال: يا ولدي أما جمعتنا سفينة نوح.[1] ا.هـ

ولعل لإخلاصه وأسلوبه هذا أثراً كبيراً في ميل القلوب إليه والإحاطة به للأخذ عنه، والإستفادة من علمه. حتى كثروا كثرة لعله لم يشركه فيها غيره، وقد عد الأستاذ حسن هيتوا في ترجمته ثلاثاً وخمسين تلميذاً، تخرجوا عليه وأضحوا أئمة في قومهم، وسادة بين أممهم. وإليك ترجمة طائفة منهم:

١ـ الخطيب البغدادي:

هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي تفقه على المحاملي.

والقاضي أبي الطيب الطبري، وإستفاد من الشيخ أبي إسحاق.

برع في الحديث حتى صار حافظاً في زمانه.[2]

وحضرة مرة درس الشيخ أبي إسحاق فروى الشيخ حديثاً من رواية بحر بن كثير السقاء ثم قال الخطيب: ما تقوله فيه ؟ فأجاب بأسهاب فقال الشيخ أبو إسحاق: هو دارقطني عهدنا.[3] ا.هـ

قال فيه القاضي الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله المعروف بابن ماكولا: كان أحد الأعيان ممن شاهدناه، معرفة واتقاناً وحفظاً وضبطاً

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ٩٣).

(٢) طبقات الشافعية لإبن هداية الله (ص١٦٤).

(٣) طبقات إبن السبكي (٣: ١٤).

لحديث رسول الله ﷺ وتفنناً في علله واسانيده وخبرة برواته وناقليه، وعلماً بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه، وعلماً بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه، ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني من يجري مجراه، ولا قام بعده منهم بهذا الشأن سواه.[1] ا.هـ

ولد ببغداد سنة إثنتين وتسعين وثلاثمائة، ولما برع في العلوم رحل إلى دمشق، وأقام بها ست سنين، أبان دولة الفاطمي وقد كان المؤذن في وقته يقول: حي على خير العمل، وكان الخطيب يمنعه. فضاقوا منه حتى هموا بقتله فخرج إلى صور في جنوب لبنان فأقام بها مدة، ثم رجع إلى بغداد.

توفي في بغداد يوم الأثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ودفن إلى جانب بشر الحافي كما كان يتمناه في حياته.

وكان من حاملي جناسته الشيخ أبو إسحاق، وقد إستفاد الشيخ أبو إسحاق منه كثيراً، وكان يراجعه في الأحاديث.[2]

٢ـ الجرجاني:

القاضي، أبو عباس أحمد بن محمد.

هو صاحب المعاياة والشافي والتحرير وغيرها، تولى القضاء بالبصرة ومارس التدريس فيها، وقد كان إماما في الفقه والأدب، له كتاب الأدباء.

سمع الحديث من أبي طالب بن غيلان وأبي الحسن القزويني

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢١٨).

(٢) طبقات إبن هداية الله (ص١٦٥) والتي تليها.

والقاضيين أبي الحسن الماوردي وأبي الطيب الطبري، كما سمعه أيضاً من أبي بكر الخطيب وابن شاذان.

وروى عنه الحافظ أبو علي بن سكرة، وإسماعيل بن السمرقندي وأبو طاهر الكرخي. وتفقه على الشيخ أبي إسحاق.

قال إبن السبكي: وقد كان إماماً فيه ـ أي في الفقه ـ ماهراً وفارساً مقدماً، وتصانيفه فيه تنبيء عن ذلك، توفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.[1]

٣ـ العبدري:

أبو الحسن على بن سعيد بن عبد الرحمن البغدادي، منسوب إلى عبد الدار.

تفقه على الشيخ أبي إسحاق، وبرع في المذهب، وصار أحد أئمة الوجوه.

توفي ببغداد سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.[2] ا.هـ

قال إبن السبكي: كان رجلاً عالماً مفتياً عارفاً باختلاف العلماء، أخذ عن أبي محمد بن حزم الظاهري وأخذ عنه إبن حزم أيضاً.

ثم جاء إلى المشرق، وحج ودخل بغداد، وترك مذهب إبن حزم، وتفقه للشافعي على أبي إسحاق الشيرازي وبعده على أبي بكر الشاشي. ا.هـ

سمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري والقاضي أبي الحسن الماوردي.

---

(١) طبقات إبن السبكي (٣: ٣١)، وأنظر طبقات إبن هداية الله (ص١٧٨).

(٢) طبقات إبن السبكي (ص١٨٣).

وروى عنه أبو القاسم بن السمرقندي وسعد الحيري وغيرهما. توفي ببغداد يوم السبت سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعة وأربعمائة[1].

٤ـ الباجي:

أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ابن وارث الباجي، نسبة إلى باجة في الأندلس.

أخذ في الأندلس عن أبي الأصبع وأبي محمد مكي، وأبي شاكر وغيرهم.

قام برحلته المشهورة إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة فأقام بالحجاز ثلاثة أعوام، سمع من المطوعي وأبي بكر بن سحتويه وإبن محرز وإبن مسعود وإبن محمود الوارق. ثم رحل إلى بغداد، فأقام بها ثلاثة أعوام فسمع الفقه من أبي الفضل بن عروس شيخ المالكية، وأبي عبد الله الدامغاني والصيمري الحنفيين. وغيرهم. وقد أخذ الحديث عن الخطيب وأخذ الخطيب عنه.

ثم رحل إلى الشام فسمع من السمسار وغيره، وتولى قضاء حلب. ودخل بعدها الموصل فأقام بها عاماً سمع من السمناني الأصول.

ثم دخل مصر، فسمع من أبي محمد بن الوليد وغيره.

وإستمرت رحلته المشرقية نحو ثلاثة عشر عاماً، ولما عاد إلى الأندلس حاز الرياسة فيها وكان له مع إبن حزم مناظرات

---

(١) طبقات ابن السبكي (٣:٢٩٨).

ومناظرات[1] ففشا علمه وعظم جاهه وكثر ماله بعد فقر لازمه طوال رحلته، لما أن الرؤساى إستعملوه في الرسل بينهم، وأجزلوا له العطاء، وقد رفع الله به العلم بعدما إنخفضت رايته هناك كما يرة إبن العربي قلت: وكأنه تناسى إبن حزم وإبن عبد البر وغيرهما من فحول العلماء إلا أن التعصب هنا مدخله، فقد كان هو مالكياً متعصباً للمذهب وهما مجتهدان يأخذان ما قوي دليله من أقوالالفقهاء ويردان ما عداه.

وللباجي مؤلفات كثيرة، منها الإستيفاء والمنتقى وغيرها.[2]

توفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة للهجرة.

٥ـ الطبري:

أبو عبد الله الحسين بن علي.

تفقه على ناصر العمري بخراسان، وأبة الطيب الطبري ببغداد وهو صغير ثم لازم الشيخ أبا إسحاق حتى بارع وصار من عظماء أصحابه درس مع أبي على الفامي بالنظامية بالتعاقب يدرس أحدهما يوماً والآخر يوماً، ثم عزلا بالغزلي أبي حامد إلى أن ترك الغزالي التدريس بها فأعيد الطبري ثانية.

كان إماماً أشعري في عقيدته، حتى جرت بينه وبين الحنابلة

---

(١) وقد أفردت هذه المناظرات في كتاب، قدم طلب الطبع له في الجزائر سنة ١٩٧٥م في الشركة الوطنية للنشر والتوزيع كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتاب الوصول (ص٧).

(٢) أنظر الديباج المذهب (ص١٢٠)وما بعدها.

القائلين بالحرف والصوب خطوب.[1]

سمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق وغيرهما.

روى عنه إسماعيل الحافظ، وأبو طاهر السلفي وغيرهما.

صنف كتاب العدة شرحاً على أبانه الفوراني.

توفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة. قال إبن السبكي: لا أدري بمكة أم بأصبهان.[2]

٦ـ الخرقي:

عبد الرحمن بن محمد بن ثابت. أبو القاسم.

كان فقيهاً ورعاً زاهداً، يعرف بمغتي الحرمين من قرية خرق بفتحين. تفقه على الفوراني بمرو. ثم على القاضي حسين بمرو الروذ ثم على أبي سهل أحمد بن على الأبيوردي ببخاري، ثم صحب الشيخ أبا إسحاق ببغداد، وحج ورجع إلى قريته وإنقطع للعلم والعبادة.

سمع الحديث عن أبي عثمان الصابوني وناصر العمري والأستاذ أبي نصر القشيري وغيرهم. توفي في ربيع الأول سنة خمس وتسعين وأربعمائة[3].

---

(١) الأشاعرة ينكرون صفة الكلام باللفظ والقول ويقولون أن كلام الله تعالى نفسي... والحنابلة يثبتونها له تعالى.

(٢) أنظر طبقات إبن السبكي (٣: ١٥٢).

(٣) طبقات ابن السبكي (٣: ٢٢٧).

٧ـ الشارقي:

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العباس الأنصاري. تفقه على الشيخ أبي إسحاق.

دخل العراق وفارس والأهواز ومصر ثم رجع إلى المغرب وسكن سبتة وفاس. كان ديناً بكاء واعظاً.

توفي في الأندلس في نحو الخمسمائة.

له رحلة روى فيها بمكة عن كريمة المروزية. ألف كتاباً بامختصرا في أحكام الصلاة.[١]

٨ـ الشاشي:

فخر الإسلام محمد بن أحمد بن الحسين.

تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره.

وكان معيداً له، وولى التدريس بالمدرسة النظامية وغيرها ببغداد.

له تصانيف عديدة منها: العمدة والترغيب والشافي.

أخذ عنه الفقه جماعة منهم: القاضي أبو العباس بن الرطبي وابنه أبو المظفر، كما أخذه عنه أيضاً أبو محمد بن أبي بكر وغيرهم.

مات يوم السبت الخامس والعشرين من شوال سنة سبع وخمسمائة[٢].

---

(١) طبقات إبن السبكي (٤: ٥٣)، الديباج المذهب (ص٥٥).

(٢) تبيين كذب المفترى (ص٣٠٦)، وأنظر طبقات ابن السبكي (٤: ٥٧) والتي تليها

وإليه إنتهت رياسة أصحاب الشافعي ببغداد.

دفن مع شيخه أبي إسحاق في قبر واحد.

وقد كان يسمى الجنيد، لدينه وورعه وعلمه وزهده.[1]

وهذا الإسم «الشاشي» يطلق على ثلاثة من الأئمة:

الأول: أبو بكر محمد بن على بن إسماعيل القفال الكبير توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة.

الثاني: أبنه: قاسم بن محمد بن علي القفال. توفي سنة أربعمائة.

الثالث: أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي، الملقب بفخر الإسلام، وهو تلميذ الشيخ أبي إسحاق. وقد كان له ولدان فقيهان مناظران، وكانا يفتيان في حياة والدهما، أحدهما: عبدالله بن محمد، توفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. وثانيهما: أحمد بن محمد، توفي بعد اخيه بعام واحد.[2]

٩ـ العبكري:

أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن المعلم. كان أديباً، تفقه على الشيخ أبي إسحاق.

وسمع الحديث من جماعة.

وصنف الإنتصار لحمزة الزيات، فيما نسبة إليه ابن قتيبة في مشكل

---

(١) تبيين كذب المفتري(ص٣٠٦)، وأنظر طبقات إبن السبكي (٤: ٥٧) والتي تليها.

(٢) طبقات إبن هداية الله (ص١٩٧) والتي تليها.

القرآن.

وله شعر جيد.

توفي سنة ست عشر وخمسمائة.[1]

١٠ـ أبو العز القبلانسي:

محمد بن الحسين بن علي بن بندار.

من أهل واسط، تفقه على الشيخ أبي إسحاق.

سمع من أبي الحسين بن المهتدي، وأبي الغنائم بن المأمون وأبي جعفر بن المسلمة.

وقرأ القرآن على جماعة.

عاش طويلاً، حتى أخذ عنه الكثيرون، وقصدوه من البلدان.
توفي في شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.[2]

قال الذهبي: قال السمعاني: سمعت عبد الوهاب الأنماطي ينسبه إلى الرفض وأساء عليه الثناء.

قال المؤلف ـ أي الذهبي ـ أما الرفض فلا، فله أبيات في تعظيم الاربعة الراشدين، أن لم يكن نظمها تقية.

ـ ثم قال ـ: أبو العز عندنا مع ذلك ثقة في القراءات، مرضى[3].

---

(١) طبقات إبن السبكي(٤: ٢٣٦).

(٢) انظر طبقات إبن السبكي (٤: ٦٧).

(٣) ميزان الإعتدال (٣: ٥٢٥).

١١ـ الموشيلي:

غانم بن الحسن، أبو الغنائم.

ينسب إلى موشيلا وهو كتاب للنصارى.

وقد كان جده نصرانياً من أهل أرمية من بلاد أذربيجان.

قال إبن السمعاني: فقيه، ورع، مفت، مناظر.

ورد بغداد وأقام فيها.

تفقه على الشيخ أبي إسحاق، وتفقه بنيسابور على إمام الحرمين.

ناظر أبا سعد المتولي وظهر كلامه فقال الشيخ أبو إسحاق لغانم: كان كلامك أجود من كلام أبي سعد.

توفي بارمية في حدود سنة خمس وعشرين وخمسمائة.[1]

١٢ـ الحريري:

القاسم ين علي بن محمد ين عثمان.

صاحب المقامات. من أهل البصرة. ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة.

تفقه على الشيخ أبي إسحاق وإبن الصباغ.

وقرأ الفرائض على أبي الفضل الهمذاني.

أخذ الأدب عن المجاشعي، وكان من البلاغة والفصاحة بالمحل الرفيع، تشهد به مقامات التي لا نظير لها.

---

(١) طبقات إبن السبكي (٤: ٢٩٠) والتي تليها.

رشيق النظم والنثر، حلو الألفاظ، عذب العبارة، إمام متقدم في الأدب وفنونه.

قال إبن السمعاني: لم يكن له في فنه نظير في عصره، فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة وتنميق العبارة وتحسينها وكان فيما يذكر غنياً كثير المال.

سمع الحديث من ابي تمام محمد بن الحسن المقري وأبي القاسم ابن المفضل العثماني. وروى عنه أبو الفضل بن ناصر وأبو بكر عبد الله ابن محمد بن النقور.

توفي يوم الإثنين ثاني رجب سنة ست عشرة وخمسمائة.(١)

١٣- إبن الرطبي:

أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم العجلي الكرخي.

يكنى بأبي العباس بن الرطبي. من أهل كرخ بعقوباً.

يضرب به المثل في الخلاف والمناظرة.

تفقه بالشيخ أبا إسحاق، ثم لازم الشيخ أبا بكر الشاشي بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق.

رحل إلى أصبهان وتفقه بالإمام أبي بكر محمد بن ثابت الخجندي ممدرس النظامية بأصبهان، وسمع بها شيئاً من الحديث ثم رجع إلى العراق.

تزهد في بادىء أمره، ثم تقدم عند الخلفاء، وولى قضاء نهر

---

(١) أنظر طبقات إبن السبكي (٤: ٢٩٥) والتي تليها، المنتظم (٩: ٢٤١).

معلي ببغداد.

كما تولى الحسبة والنظر في الأوقاف، وتولى الصلاة بأمير المؤمنين المسترشد بالله، وتأديب ولده أبي جعفر المنصور الراشد بالله.

كان مقدماً في المعرفة بالمذهب والخلاف، حسن المناظرة حلو العبارة.

مات ليلة الإثنين مستهل رجل سنة سبع وعشرين وخمسمائة ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي[1].

١٤ـ ابن منصور العجلي:

أبو علي أحمد بن سعيد بن علي إبن الحسين بن القاسم بن غياث الهمذاني، المعروف بالبديع.

رحل إلى أصبهان وبغداد والكوفة والرى.

سمع الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ويوسف بن محمد الهمذاني والخطيب وغيرهم.

وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وابن الجوزي، وغيرهم.

قال ابن السمعاني: شيخ امام فاضل ثقة، كبير جليل القدر واسع الرواية حسن المعاشرة، وله شعر جيد، توفي في رجب سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[2] ا.هـ

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري (ص٣٢١)، طبقات ابن السبكي (٤: ٣٨).

(٢) طبقات ابن السبكي (٤: ٣٨).

١٥ـ الزنجاني:

يوسف بن الحسن ين محمد ين الحسين أبو الهيثم التفكري.

سمع من أبي نعيم الحافظ وغيره.

وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي. ولد سنة ٣٩٥هـ.[١]

---

(١) الكامل (١٠: ١١٩).

obeikandl.com

الفصل الثامن: في مؤلفات الشيخ أبي إسحاق

للشيخ أبي إسحاق كتب عديدة، في غير مافن، تلقتها الأمة بالقبول، لمكان إخلاص الشيخ في كتابتها، وإرادته بذلك نصرة دين الله والذب عنه، والمشاركة في أسباب حفظه بين الناس، بنشره وتوضيحه، فألفت كتبه القلوب فأقبلت عليها، حفظاً وشرحاً وإختصاراً وتعليقاً، وسارت بها الركبان، الى كل صقع ومكان، كمسير الشمس ودارت الدنيا، فما جحد فضلها الا الذي يتخبطه الشيطان من المس، بعذوبة لفظ أحلى من الشهد بلا نحلة، وحلاوة تصانيف فكأنما عناها البحتري بقوله:

وإذا دجت أقلامه ثم انتجت
برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده
فتياً ويبعد نيله في قربه
حكم سحائبها خلال بنانه
هطالة وقليبها في قلبه
فالروض مختلف بحمرة نوره
وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها
شخص الحبيب بدا لعين محبه [1]

ولا غرو فلقد كان يضرب به المثل في الفصاحة[2]، فخلت كتبه

---

(١) طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨).

(٢) أنظر طبقات ابن السبكي (٣: ٨٩).

من التعقيد بكل أشكاله، وامتلأت بالعلم المفيد القريب بأعذب وأقل الفاظه.

وقد ألف في فنون عديدة، في العقيدة والفقه والاصول والخلاف والمذهب، والجدل والمناظرة، والتاريخ.

واليك سرد ما وقفت عليه من مؤلفاته رحمه الله، مرتبة على الحروف الهجائية:

الكتاب الاول: الإشارة الى مذهب الحق.

ذكره بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي[1]. ولكن أحداً ممن ترجم للشيخ أبي إسحاق لم يذكره أصلاً، قبل بروكلمان.

وسماه في فهرس المكتبة الوطنية بباريس: شرح مغيث الخلق في إختيار الحق، وقال انه شرح لكتاب صنفه أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف الجويني[2]. عدد أوراق المخطوط سبع وخمسون ورقة قياس ٢٦×١٨ سم في الفقه الشافعي. رقمه ست وتسعون وثمانمائة وخمسة آلاف. ولعل ها هنا خطأ. فإن الكتاب للجويني وقد ذكره في كشف الظنون ولم يذكر أن للشيخ أبي إسحاق شرحاً عليه.

---

(١) أنظر (١: ٤٨٤ـ ٤٨٦)، الملحق (١: ٦٦٩، ٦٧٠). نبه الى ذلك الاستاذ عبد المجيد تركي في مقدمة الوصول الى مسائل الاصول (ص٥١). ولم يذكره غير بروكلمان فيما علمت حتى الآن.

(٢) ذكر هذا الكتاب: مغيث الخلق في اختيار الأحق، في كشف الظنون (٢: ١٧٥٤) وقال أنه مختصر للإمام أبي المعالي المتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. أوله الحمد لله الذي خص من يشاء من الأنام... الخ. صنفه لترجيح مذهب الشافعي على غيره، وجعل له مقدمة في بيان ما هية الترجيح.

الكتاب الثاني: التبصرة في أصول الفقه[1].

ذكره حاجي خليفة، وذكر ان لأبي الفتح عثمان بن جني شرحاً عليه[2].

وفي صحة نسبة هذا الشرح لابن جني نظر، لأن ابن جني توفي سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة، في حين ولد الشيخ أبو إسحاق سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

ويوجد نسخة من التبصرة في المكتبة الأزهرية برقم ١٧٨٥امبابي نسبة إلى الخزانة الموقوف فيها الكتاب، والتي تعود إلى الشيخ محمد الأنبابي بن الحاج محمد الأنبابي، والخزانة تابعة للمكتبة الأزهرية الآن.[3]

ويعود تاريخ نسخها إلى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. عدد أوراقها أربع وأربعون ومائة ورقة.

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ محمد حسن هيتو وقدمه رسالة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر بمصر سنة أثنتين وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، وقد تم نشر الكتاب سنة أربعمائة وألف، قدم له بترجمة جيدة للإمام الشيخ أبي إسحاق، حاول أن يستقصي فيها ما يتعلق بجوانب حياته العلمية، فوفق في الكثير من

---

(١) ورد ذكره في: وفيات الأعيان (١: ٢٩)، البداية والنهاية (١٢: ١٢٤)، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، المنتظم (٩: ٦)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (١: ٣٣٩)، هداية العارفين (٥: ٨)، دائرة معارف القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، الفتح المبين (١: ٢٥٦)، معجم المؤلفين (١: ٦٩)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٧٨)

(٢) كشف الظنون (١: ٣٣٩).

(٣) أنظر فهرس المكتبة الأزهرية (٢: ١٦).

مباحثه. الا أنني قد خالفته وخاصة في الحكم على الشيخ أبي إسحاق بأنه كان أشعرياً في عقيدته، لأن النقول التاريخية لا تساعد على ذلك، كما بسطت ذلك في محله.

وانظر تتمة الكلام على أوصاف المخطوطة في مقدمته لكتاب التبصرة[١].

وكتاب التبصرة هذا تنحصر مباحثه في المسائل الأصولية المختلف فيها فقط، كما نص على ذلك الشيخ في مقدمتها، فالكتاب إذن وضع للمتخصصين في أصول الفقه، لأن المباحث التمهيدية لكل فصل فيه أو كتاب لا وجود لها فيه وعلى من أرادها، ان يطلبها في غيره، لأنه كتاب موضوع للعلماء، لا للمبتدئين. شأنه في ذلك شأن كتابه النكت في الفقه، الآتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

الكتاب الثالث: تذكرة المسؤولين في الخلاف بين المذهبين الحنفي والشافعي.[٢]

وصفه حاجي خليفة : بأنه كبير في مجلدات[٣] .ا.هـ

وفي دائرة المعارف الإسلامية: وهو كتاب في الإختلاف في عدة مجلدات يتناول أقوال الحنفية والشافعية. والظاهر أنه لم يصل إلى أيدينا[٤] .ا.هـ

ولعل في ذكرهما إياه، في قائمة مؤلفاته مع النكت الآتي ذكره في

---

(١) انظر التبصرة (ص ٦) وما بعدها.

(٢) ورد ذكره في كل من: كشف الظنون (١: ٣٩١)، هدية العارفين (٥: ٨)، دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣).

(٣) كشف الظنون (١: ٣٩١).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣).

محله، ما يدل على أنهما يريان أنه غيره.

والظاهر أنه هو، وما ذكره في دائرة المعارف تابع فيه صاحب الكشف، ولعل صاحب الكشف يشير إلى النسخة المجزأة إلى ثلاثة أجزاء من كتاب النكت، كما سيأتي بيانه، لاسيما وأنه لم يصل إلينا منها الا الجزء الثاني، وهو الأوسط منها، فلعل الناسخ تصرف في العنوان في الجزء الأول، أو أن مالك النسخة التي اطلع عليها صاحب الكشف قد تصرف في العنوان فأورث بذلك شبهة في أي العنوانين هو الصحيح، فإن مثل ذلك قد حصل في الجزء الثاني منه. فقد ذكر في أعلى صفحة العنوان عبارة: هذا كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، وليس الأمر كذلك. لاسيما إذا انضم إلى هذا المعنى أن أحداً ممن سبق حاجي خليفة وترجم للشيخ أبي إسحاق وذكر كتبه، لم يذكر إسم هذا الكتاب معها، مما يقوي الظن بأن هذا الكتاب، هو عين كتاب النكت، والله تعالى أعلم.

وما ذكره الأستاذ حسن هيتو من أن «تذكرة الخلاف» الذي ألمح إليه الزركشي في كتابه البحر المحيط، غير كتاب النكت، بحجة أن النكت مشهور،[1] لا يستقيم، لان الزركشي إختصر إسم الكتاب بعنوانه هنا أعني: «تذكرة المسؤولين في الخلاف بين المذهبين،[2] وقد علمت أن هذا الكتاب هو عين كتاب النكت، فيكون تذكرة الخلاف هو عين النكت أيضاً، والله أعلم.

الكتاب الرابع: تلخيص علل الفقه.

---

(١) أنظر: الإمام الشيرازي (ص١٧٩).

(٢) وهو من جنس قولنا في نيل الأوطار للشوكاني مثلاً: قال في النيل، أو قولنا في فتح الباري، كذا في الفتح. وهكذا.

هذا الكتاب ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي[1]، ولم أره عند غيره ممن ترجم للأعلام أو للمؤلفين.

الكتاب الخامس: التنبيه[2].

وهو مختصر في الفقه الشافعي، قال حاجي خليفة: وهو أحد الكتب الخمس المشهورة المتداولة بين الشافعية، وأكثرها تداولاً كما صرح به النووي في تهذيبه، أخذه من تعليقة الشيخ أبي حامد المروزي، بدأ في تصنيفه في أوائل رمضان سنة إثنتين وخمسين وأربعمائة[3] .ا.هـ

وهو على إختصاره، ذو اهمية كبيرة، ولذلك اعتنى به فقهاء المذهب فمنهم من شرحه، ومنهم من اختصره، ومنهم من علق عليه نكات، ومنهم من نظمه.

وقد سرد في كشف الظنون شروح التنبيه، فبلغت ما يزيد على

---

(١) أنظره في (١: ٤٨٤ـ ٤٨٦)، وانظر الملحق (١: ٦٦٩ـ.٦٧) المشار إلى ذلك في مقدمة الوصول (ص٥١).

(٢) ورد ذكره في كل من: تبيين كذب المفتري (ص٢٧٧)، وفيات الأعيان (١: ٢٩)، البداية والنهاية (١٢: ١٢٤)، طبقات الأعيان ابن السبكي (٣: ٨٨)، المنتظم (٩: ٦)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (١: ٤٨٩)، هدية العارفين (٥: ٨)، دائرة معارف القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣)، الفتح المبين (١: ٢٥٦)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٦٨).

البداية والنهاية (١٢: ١٢٤)، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، المنتظم (٩: ٦)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (١: ٤٨٩)، هدية العارفين (٥: ٨)، دائرة معارف الإسلامية (١٤: ٢٣)، الفتح المبين (١: ٢٥٦)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٦٨).

(٣) كشف الظنون (١: ٤٨٩).

ثلاثة وأربعين شرحاً، وعشر مختصرات، وخمس نكات وست منظومات[1].

من أجل ذلك، فقد مدحه العديد من أهل العلم إعترافاً بفضله، روى ابن السبكي بسنده عن الإمام الحسن الطبري قوله: سمعت صوتاً من الكعبة أو من جوف الكعبة: من أراد أن يتنبه في الدين فعليه بالتنبيه[2] .ا.هـ

وانشد السمعاني وغيره للرئيس أبي الخطاب على بن عبد الرحمن بن هارون بن الجراح:

سقيا لمن صنف التنبيه مختصراً
ألفاظه الغـر واستقصى معانيـه
إن الإمـام أبا إسحـاق صنفـه
لله والديـن لا للكبـر والتيـه
رأى علومـاً عـن الأفهـام شاردة
فحازهـا ابن علي كلهـا فيـه
بقيت للشـرع إبراهيـم منتصـراً
تذود عنـه أعاديـه وتحميـه[3]

ومدحه آخر بقوله:

يـا كوكبـاً مـلأ البصـائر بنـوره
من ذا رأى لك في الأنام شبيهـاً

---

(١) أنظر كشف الظنون (١: ٤٨٩) وما يليها.

(٢) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٥).

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٧٧)، تهذيب النووي (١: ١٧٤)، المجموع (١: ٣٤).

كـانت خواطرنـا نيـاماً برهة

فرزقـــن مـن تنبيهـه تنبيهـــا[1]

«ولكتاب التنبيه طبعة واحدة، مع ترجمة لاتينية، ومقدمة وأخرى فرنسية مع تعاليق». [2]

كما أنه طبع بمصر سنة سبعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق لسنة إحدى وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الكتاب السادس: الحدود[3].

وهو كتاب في التعريفات[4]، كما يشير إليه عنوانه، وكما يفهم ذلك من صنيع الزركشي، إذ نقل عنه حد الفقيه، في كتابه البحر المحيط[5] فقال: وقال الشيخ أبو إسحاق في كتابه: «الحدود»: الفقيه من له الفقه، فكل من له الفقه فقيه، ومن لا فقه له فليس بفقيه، حكاه عنه ابن الهمذاني في طبقات الحنفية[6] .ا.هـ

---

(١) كشف الظنون (١: ٤٨٩).

(٢) مقدمة كتاب الوصول (ص٤٧).

(٣) لم أجد من نبه إليه، الا الأستاذ محمد حسن هيتو في ترجمته للإمام الشيرازي (ص١٨٠).

(٤) أي أنه على غرار كتاب التعريفات للجرجاني، وكشاف إصطلاحات الفنون للتهانوي.

(٥) مخطوط، يوجد في المكتبة الأزهرية رقم (٢٠) ٧٢٢/أصول فقه ومنه صورة في مركز البحث بالجامعة.

(٦) البحر المحيط: الجزء الأول، الورقة الثامنة، الصفحة اليسرى كما أفاد ذلك الأستاذ هيتو في ترجمة الإمام الشيرازي (ص١٨٠) وقد رجعت إليه في مركز

ونقل الزركشي عنه نقلاً آخر أيضاً، عند الكلام على الدليل فقال: الدليل يطلق في اللغة على أمرين، . . . . والدال ناصب الدلالة ومخترعها وهو الله سبحانه وتعالى، ومن عداه ذاكر الدلالة وعند الباقين: ذاكر الدلالة، واستبعد، إذ الحاكي والمدرس لا يسمى دالاً، وهو ذاكر الدلالة[1]، فالأولى أن يقال: الدال ذاكر الدلالة على وجه التمسك بها، ويسمى الله تعالى دليلاً بالإضافة. وأنكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابه «الحدود» قال: ولا حجة في قولهم لله تعالى: يا دليل المتحيرين، لأن ذلك ليس من قول النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه، وإنما هو من قول أصحاب العكاكيز[2] .ا.هـ

إلى غير ذلك من النقول عن الشيخ أبي إسحاق، في غير ما موضع ما يفيد بأن موضوع الكتاب: التعريفات والحدود.

الكتاب السابع: رؤوس المسائل[3].

قال الأستاذ هيتو: ذكره ابن الوردي، في تتمة المختصر[4]، ولم

البحث العلمي بجامعة أم القرى فألفيته قد ذكره في الجزء الأول في الصفحة اليمنى من الورقة الثالثة.

(١) لعل الأولى: للدلالة. باللام لا بأل التعريف.

(٢) البحر المحيط الجزء الأول، الصفحة اليسرى من الورقة الحادية عشرة. كما أفاد ذلك هيتو في ترجمة الإمام الشيرازي (ص١٨١) الا أنني رأيت ذلك في الصفحة اليمنى وليس اليسرى.

(٣) لم أجد من أشار إلى هذا الكتاب بهذا العنوان غير الأستاذ هيتو في ترجمته للإمام الشيرازي (ص١٨٠).

(٤) انظر تتمة المختصر في أخبار البشر (١ : ٥٧٣).

يذكر في أي فن هو.ا.هـ[1]

قلت: هذا الكتاب معروف، وهو في فن الخلاف، اختصر فيه الشيخ أبو إسحاق، كتابه النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة، الآتي ذكره في محله، وسماه: نكت المسائل المحذوف منه عيون الدلائل، وسيأتي وصف هذا الكتاب في محله إن شاء الله تعالى.

والزركشي هنا، ذكر عنوان هذا الكتاب على جهة الإختصار.

الكتاب الثامن: طبقات الفقهاء[2].

وهو كتاب مختصر في تراجم فقهاء القرنين الأول والثاني والمذاهب الاربعة، والظاهرية، حتى أيام المؤلف[3].

والكتاب وإن كان مختصراً، الا أنه كان مادة لكثير ممن كتب في تراجم الفقهاء من بعده، كإبن كثير والنووي وابن خلكان والسبكي وغيرهم.

قال فيه المراغي: إنه يدل على رسوخ قدمه وإحاطته بالتاريخ[4].ا.هـ

وما ذكره ابن كثير من أن الكتاب في طبقات الشافعية، إما سبق

---

(١) الإمام الشيرازي (ص١٨٠).

(٢) ورد ذكره في كل من: البداية والنهاية (١٢:١٢٤)، طبقات ابن السبكي (٣:٨٨)، المنتظم (٩:٦)، مفتاح السعادة (٢:٣١٨)، كشف الظنون (٢:١١٠٥)، دائرة المعارف الإسلامية (١٤:٢٣)، معجم المؤلفين (١:٦٩)، الإعلام (١:٥١)، الفتح المبين (١:٢٥٦)، الإمام الشيرازي (ص١٧٩).

(٣) أنظر كشف الظنون (٢:١١٠٥).

(٤) الفتح المبين (١:٢٥٦).

قلم، وإما خطأ من الناسخ.

وكذلك، فإن ما ذكره الأستاذ هيتو من أن الكتاب عرض لترجمة فقهاء الشافعية والمالكية والظاهرية، فترجم للمشاهير من هذه المذاهب الثلاثة والشافعية، فيه إغفال لمذهب الحنابلة، فقد ترجم الشيخ أبو إسحاق لعدد من أئمة الحنابلة.

وقد قام الإمام عبد الله محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمذاني بوضع ذيل لطبقات الشيرازي، كما أشار إلى ذلك ابن خلكان[1].

وللكتاب طبعتان، إحداهما في بغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق لسنة سبع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد، مضموماً إلى كتاب طبقات الشافعية لابن هداية الله الحسيني المتوفي سنة أربع عشرة وألف من الهجرة.

وثانيتهما: مفصولاً عنه، وقد قام الأستاذ إحسان عباس بتحقيقه ووضع ترجمة جيدة مختصرة للإمام الشيرازي.

الكتاب التاسع: عقيدة السلف[2].

ذكره الإمام السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، الشهير بمرتضى الحنيفي المتوفي سنة خمس وأربعين ومائة وألف للهجرة

---

(١) وفيات الأعيان (٢: ٣١٥).

(٢) وقد ورد ذكره في كل من: اتحاف السادة المتقين (٢: ٣)، وفيات الأعيان (١: ٢٩)، هدية العارفين (٥: ٨)، وذكره في كشف الظنون (٢: ١١٥٨) فقال: عقيدة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي.ا.هـ فلعله سهو منه، فإنه إبراهيم بن علي الشيرازي. ولا يقال: لعله عني به غير الشيخ أبي إسحاق، لأنه لا يوجد شيرازي آخر بهذا الإسم. وذكره أيضاً في مقدمة الوصول (ص٥٠)، وفي فهرس المكتبة الوطنية بباريس الكتاب رقم (٣) من المجموع رقم (١٣٩٦).

في معرض الكلام عن الأشعرية،[1] إلا أنه خلط معها ما هو ضد العقيدة الأشعرية ككتاب السنة اللاكائي، وغيره من كتب العقيدة السلفية، فكأن ما ذكره تحت ذلك العنوان، أعني قوله: ذكر الكتب المصنفة في العقيدة الأشعرية، أكبر من العنوان، لكونه ذكر تحته ما هو ضد العقيدة الأشعرية أيضاً. وكان الأولى به أن يقول: ذكر الكتب المصنفة في العقيدة، مطلقاً.

وذكره حاجي خليفة: بعنوان: عقائد الفيروز أبادي، في موضع[2] بينما ذكره في موضع آخر بعنوان: عقيدة الشيخ أبي إسحاق - إبراهيم إبن محمد الشيرازي.[3]

وأيضاً فقد أشار إليه بروكلمان في كتابه: تاريخ الأدب العربي.[4]

ويوجد نسخة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس، وهو المخطوط الثالث من مجموع رقم ١٣٩٦، ويقع في ثلاث وعشرين ورقة[5] أوله: إعلم أن جميع المخلوقات والحوادث تنقسم ثلاثة أقسام...

ويبدو أن الشيخ أبا إسحاق قد صنف هذا الكتاب بعد الفتنة التي نشبت بين الحنابلة والشافعية، بسبب الخلاف على المعتقد سنة تسع وستين وأربعمائة، كما سبق أن ذكرنا ذلك، عند الكلام على عقيدة الشيخ أبي إسحاق، فإن الشيخ حين قام الوزير إبن جهير بمصالحته

---

(١) أنظر آتحاف السادة المتقين (٢: ٣).

(٢) انظر الكشف (٢: ١١٤٥).

(٣) أنظر الكشف (٢: ١١٥٨).

(٤) أنظر مقدمة كتاب الوصول (ص٥٠).

(٥) أنظر فهرس المكتبة الوطنية بباريس، للبارون دي سلان، تحت الرقم المذكور.

مع الشريف أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة، احتج له ـ ليقنعه بأنه ليس أشعرياً ـ بما كتبه في الأصول من الرد على الأشاعرة ومخالفته إياهم.

فلو كان قد ألف هذا الكتاب قبل ذلك لأرشده إليه، ليكون أدخل في إقامة الحجة، وتبرئة ساحته من العقيدة الأشعرية.

الكتاب العاشر: الفتاوى[1].

لقد بحثت وتتبعت ما أمكنني بذله في ذلك لمعرفة شيء عن هذا الكتاب، فلم أعثر له على أثر، والأستاذ هيتو أشار إلى هذا الكتاب من غير بيان المصدر الذي وقف عليه فيه.

صحيح ان الشيخ أبا إسحاق، كان مرجعاً في الفتاوى يقصده المستفتون من كل مكان كما قال ابن السبكي: وكانت الفتاوى من البر والبحر تحمل إلى بين يديه[2] .ا.هـ الا أن ذلك لا يكفي في الدلالة على أن للشيخ كتاباً اسمه الفتاوى، فكم من إمام في الفقه لا نجد له شيئاً من الفتاوى مجموعة في كتاب.

الكتاب الحادي عشر: اللمع[3].

---

(١) لم أجد من أشار إلى هذا الكتاب سوى الأستاذ هيتو في ترجمته للإمام الشيرازي (ص ١٨٠) الا أنه لم يذكر أين وقف على هذا الكتاب.

(٢) طبقات ابن السبكي (٣: ٨٩).

(٣) ورد ذكره في كل من: تبين كذب المفتري (ص٢٧٧)، وفيات الأعيان (١: ٢٩)، البداية والنهاية (١٢: ١٢٤)، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، المنتظم (٩: ٦)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (١: ١٥٦٢)، إيضاح المكنون (٤: ٤١٠)، هدية العارفين (٥: ٨)، دائرة معارف القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، الفتح المبين (١: ٢٥٦)، معجم المؤلفين (١: ٦٩)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٧٨) وغيرهم.

هو كتاب مختصر في أصول الفقه، ألفه الشيخ بعد التبصرة فقد قال في مقدمته: سألني بعض إخواني أن أصنف له مختصراً في المذهب في أصول الفقه، ليكون ذلك مضافاً إلى ما عملت من التبصر في الخلاف، فأجبته إلى ذلك، إيجاباً لمسألته، وقضاء لحقه، وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف وما لا بد منه، من الدليل، فربما وقع ذلك، إلى من ليس عنده ما عملت من التبصرة في الخلاف[1] .ا.هـ

ولأبي الخطاب في مدح اللمع، لما حوى من دقائق المسائل في الاصول على صغره، ولما هو عليه من سهولة العبارة ووضوحها، قوله:

أضحت بفضل أبي إسحاق ناطقة
صحائف شهدت بالعلم والورع
بها المعاني كسلك العقد كامنة
واللفظ كالدر سهل جد ممتع
رأى العلوم وكانت قبل شاردة
فحازها الألمعي الندب في[2] اللمع
لا زال علمك ممدداً سرادقه
على الشريعة منصوراً على البدع[3]

وقال أبو الحسن القيرواني:

---

(١) نزهة المشتاق (ص٧) والتي تليها.

(٢) على وزن: الضرب (مصدر) وهو الخفيف في الحاجة. انظر المختار (ص٦٥١).

(٣) تهذيب النووي (٢: ١٧٤)، المجموع (١: ٣٤).

ان شئت شرع رسول الله مجتهداً
تفتي وتعلم حقاً كل ما شرعا
فاقصد هديت أبا إسحاق مغتنماً
وادرس تصانيفه ثم احفظ اللمعا[1]

وقد جرى طبع اللمع لأول مرة في القاهرة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة، أي ما يوافق سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد.

وللشيخ أبي إسحاق مسائل عديدة خالف فيها جمهور الأصوليين ذكرها في التبصرة[2]، ثم رجع عن بعضها في اللمع.[3] إما لوقوفه على ضعف حجته فيما خالفهم فيه، أو لوقوفه على أدلة أخرى جديدة للخصم، لم يتمكن من الإنفصال عنها فنزع عن قوله المخالف لها لأن هدفه العام في حياته العلمية، نصرة الحق وإلتزامه شأنه في ذلك، شأن الكثير من الأئمة، الذين لم يذهب بهم التعصب للأراء الشخصية، إلى رد ما عليه الغير وإن كان حقاً.

هذا ما كان منه في الأصول، وأما في الفقه، فالتزم فيه المذهب الشافعي، ودافع عنه ونصره، وإن كان له فيه إختيارات يخالف فيها المعتمد والمعمول به عند الشافعية.

ولكتاب اللمع شروح عديدة، منها شرح للشيخ أبي إسحاق

---

(١) نفس المصدرين السابقين.

(٢) وهي نحو عشرة مسائل ذكرها وناقشها الأستاذ هيتو في «الإمام الشيرازي» (ص. ٢٢) وما بعدها.

(٣) ذكر منها الأستاذ هيتو ستة مسائل في كتابه: الإمام الشيرازي (ص. ٢٧) وما بعدها، وقد ناقشها أيضاً مسألة مسألة.

نفسه، وإليك ذكرها جميعاً عند الكلام على الكتاب الآتي.

الكتاب الثاني عشر: شرح اللمع[1].

قام فيه الشيخ أبو إسحاق بشرح كتابه اللمع، وهو الأدرى والأعلم بمراده فيما كتبه فيها من غيره. الا أن شرحه لم يصل إلينا بعد كاملاً[2].

وللمع أيضاً شروح عديدة، لعدد من الأئمة والمشايخ منهم:

١ـ الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي، المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. الا أنه لم يكمله[3].

٢ـ الإمام كمال الدين مسعود بن علي العزي العنسي اليمني الشافعي، المتوفي سنة أربع وستمائة[4].

٣ـ الإمام موسى بن احمد بن يوسف اليمني الشافعي، المتوفي سنة عشرين وستمائة[5]. المعروف بالوصابي، أبو عمران. قال الجندي: أجمع الفقهاء أنه لم يكن لأهل اليمن من الشروح ما هو أكثر بركة منه وأظهر نفعاً[6]. ا.هـ

---

(١) ورد ذكره في كل من: وفيات الأعيان (١: ٢٩)، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (٢: ١٥٦٢)، هدية العارفين (٥: ٨)، دائرة القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، معجم المؤلفين (١: ٦٩)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٧٨).

(٢) ثم تبين لي أخيراً أن الكتاب موجود في باريس في المكتبة الوطنية وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على كتاب: الوصول إلى مسائل الأصول رقم (٢٢).

(٣) كشف الظنون (٢: ١٥٦٢).

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) الإعلام (٧: ٣١٩).

٤ـ الإمام ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى الهذياني الكردي المتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة، في مجلدين[١].

٥ـ القاضي أحمد بن مقبل بن عثمان العلي العدني، المتوفي سنة ثلاثين وستمائة، شرح فيه مشكل اللمع[٢].

٦ـ وممن شرحه من المعاصرين شرحاً سهل العبارة، واضح المعاني مستوعب المباحث، الشيخ محمد يحي بن الشيخ أمان وسماه: نزهة المشتاق، شرح اللمع لأبي إسحاق، في مجلد ضخم، طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة سنة سبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، أي ما يوافق سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد.

الكتاب الثالث عشر: المعونة[٣].

وهو كتاب في الجدل، يوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة غوتة بألمانية، تحت رقم (١١٨٣). ويقع في أربع وخمسين ورقة.

وقد ألفه الشيخ أبو إسحاق بعد كتابه: الملخص، الا أن مراعات الترتيب الهجائي حملنا على تقديمه عليه، وهو يقصد من كتابته أن يكون إختصاراً لكتابه الملخص، كما اشار إلى ذلك في مقدمته فقال: لما رأيت حاجة من يتفقه ماسة إلى معرفة ما يعترض به من الأدلة وما يجاب به من الإعتراضات، ووجدت ما عملت من

---

(١) انظر كشف الظنون (٢: ١٥٦٢).

(٢) أنظر إيضاح المكنون (٤: ٤١٠).

(٣) ورد ذكره في كل من: وفيات الأعيان (١: ٢٩)، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، المنتظم (٩: ٦)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (٢: ١٧٤٣)، هدية العارفين (٥: ٨)، دائرة القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، معجم المؤلفين (١: ٦٩)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٦٣).

الملخص في الجدل مبسوطاً، صنفت هذه المقدمة، لتكون معونة للمبتدئين، وتذكرة للمنتهين، مجزية في الجدل، كافية لأهل النظر، وقدمت على ذلك بابا في بيان الأدلة، ليكون ما بعده من الإعتراضات والاجوبة على ترتيبه[1] .ا.هـ والكتاب ينقسم إلى ستة أبواب، وهي على النحو التالي:

الباب الأول: في وجوه أدلة الشرع، **الباب الثاني**: في الكلام على الإستدلال بالسنة، الباب الثالث: في الكلام على دليل الخطاب، **الباب الرابع**: في الكلام على إستصحاب الحال، **الباب الخامس**: في ترجيح الظواهر، **الباب السادس**: في ترجيح المعاني.

ويرجع تاريخ المخطوط إلى سنة إثنتين وأربعين وسبعمائة للهجرة[2] .

الكتاب الرابع عشر: الملخص في الجدل[3].

والكتاب لا زال مخطوطاً، فيما أعلم، يوجد منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء اليمن، تحت رقم (٦٤).

أوله بعد البسملة والصلاة: لما رأيت النظر أقوى طريق يدرك به العلم، ويعرف به الحق، دعتني نفسي إلى تصنيف كتاب ملخص في الجدل، أبين فيه رسومه، وأحكامه والذي أبدأ به، بيان حدود الألفاظ ... الخ.

---

(١) المعونة الصفحة الخامسة والسادسة.

(٢) أنظر مقدمة كتاب الوصول (ص٤٩).

(٣) ورد ذكره في كل من: وفيات الأعيان (١: ٢٩) وسماه: التلخيص في الجدل، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨)، كشف الظنون (٢: ١٨١٨)، دائرة القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٦٣).

وآخره: أو يغضب في غير موضع الغضب، أو يقوم في غير موضع القيام، أو يتسفه على خصمه، أو ينكر ما يقطع على بطلانه، او يحجها ـ كذا ـ من موضعه ما يعرف خلافه، فهذا كله يعرف به عجزه وانقطاعه عما لزمته نصرته مما قدمناه.ا.هـ والنسخة مكتوبة بخط معتاد قديم جداً، ومهمل النقط، في شهر شوال سنة ثمان وثمانين وستمائة للهجرة، وتقع في ست وسبعين ورقة، قياس: ٢٥×١٦سم. وقد كتبت عناوين الأبواب، وكلمة: فصل، بالمداد الأحمر. الا أن خط الورقة الأخيرة متباعد الكلمات، وخال من النقط، لكن الورق واحد والقدم واحد، مما يدل على أن الناسخ واحد، وليست مضافة بعد وفي الورقة الأخيرة اسم الناسخ، وهو نفس المالك[1].

وقد وصف النووي طرفاً من هذا الكتاب، فقال: وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق في أول كتابه: الملخص في الجدل، جملاً من الآداب للمناظرة وإخلاص النية، وتقديم ذلك بين يدي شروعه فيها[2].ا.هـ

وليس لهذا الكتاب شرح ولا إختصار الا كتاب المعونة في الجدل للشيخ أبي إسحاق، كما ذكرنا ذلك في الكتاب الثالث عشر.

وحاجي خليفة حين ذكر الملخص في الجدل ونسبه للشيخ أبي إسحاق أخطأ في ذكر سنة وفاته إذ قال: المتوفي سنة سبعين

---

(١) انظر هذه التفاصيل في كتاب: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (ص٣٤٥) والتي تليها.

(٢) المجموع (١: ٣٣).

وأربعمائة[1] .ا.هـ وصوابه كما ستعرف عند الكلام على وفاته أنه توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة للهجرة، ولعلها سبق قلم منه فقد ذكر في غير ما موضع من كتابه انه توفي سنة ست وسبعين. ولكن النقص مستول على البشر.

الكتاب الخامس عشر: ملخص في الحديث[2].

يوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس، وهو الكتاب الرابع في المجموع رقم (١٣٩٥) ويقع في الورقة رقم سبعة عشرة، إلى الورقة رقم عشرون[3].

الكتاب السادس عشر: المناظرات[4].

وهو عبارة عن مجموع مناظرات، كانت تنشب بين الشيخ أبي إسحاق وأئمة عصره، وقد علمت ما كان عليه الشيخ من إتقان هذا الفن وتفوقه فيه على غيره، حتى كان يضرب به المثل في قطع الخصوم والتفوق عليهم فيه، فما كان يدانيه منهم فيه أحد.

وقد وصف ابن السبكي إحاطته بالمسائل في المناظرة وأدلتها فقال: لو أراد فاضل في عصرنا أن يفردها بالتصنيف وكشف أشد الكشف لما قدر أن يصنف فيها أكثر مما أورده الشيخ على

---

(١) كشف الظنون (٢: ١٨١٨).

(٢) لم أجد من نبه إلى ذلك، الا الأستاذ عبد المجيد تركي في مقدمته لكتاب الوصول (ص٥١).

(٣) أنظر للبارون دي سلان فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس (ص٢٦٥).

(٤) لم يذكره بإسم كتاب هكذا الا الأستاذ هيتو في كتابه: الإمام الشيرازي (ص١٧٩) لكن حاجي خليفة أورده تحت عنوان: بحث إمام الحرمين وأبي إسحاق الشيرازي في مسائل. انظر الكشف (١: ٢٢١).

البديهة[1] .ا.هـ

وقد سبق أن ذكرنا أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح قد نقل بخطه، وقال: نقلتها من خط الشيخ أبي علي بن عمارة، وقال ـ أبو علي ـ نقلتها من خط رجل من أصحاب الشيخ أبي إسحاق، وذكر ـ هذا الرجل ـ في آخر الخط، أنه كتبها من خط الشيخ الإمام أبي إسحاق.ا.هـ فكأنها بمثابة مذكرات خاصة كان يكتبها لنفسه. ومثل ذلك فعل ابن حزم الا أنه بثها في كتبه وخاصة الفصل في الملل والأهواء والنحل.

ولا غرو في ذلك، فإن كثيراً من العظماء، الذين تقلدوا أدواراً ذات شأن في أممهم، يقومون أثناء حياتهم بتدوين ملاحظاتهم وما قاموا به من أدوار ذات شأن، في التعامل مع الآخرين، مما يكون فيه عظة وعبرة يحسن ان يطلع عليها الأجيال من بعدهم، كثروة من الخبرة والتجارب العملية في شتى المجالات وخاصة العسكري منها والسياسي، ويطلقون عليه إسم: المذكرات.

منها على سبيل المثال في المجال السياسي: مذكرات السلطان عبد الحميد.

وفي المجال العسكري: مذكرات الزعيم النازي أودلف هتلر ومذكرات تشرشل، ومونتغمري وغيرهم.

الكتاب السابع عشر: المذهب في المذهب[2].

هكذا ورد اسمه في المرجعين المذكورين بالهامش، ولم اجد

---

(١) الكشف (١: ٢٢١).

(٢) ورد ذكره في كل من: هدية العارفين (٥:٨)، دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣).

فيمن ترجم للشيخ أبي إسحاق مما اطلعت عليه، من ذكر هذا الكتاب غيرهما.

وكلاهما واهم فيما ذكره، أما صاحب هدية العارفين، فقد أشار في نهاية الترجمة إلى أنه إستقى هذه المعلومات عن الإمام الشيرازي من كتاب وفيات الأعيان، ولدى عودتنا إليه، وجدناه ينص على إسم الكتاب كالآتي: المهذب في المذهب[1] .ا.هـ

وأما دائرة المعارف الإسلامية، فقد وهم صاحب المقال عن الشيرازي فيها أيضاً، وإنما يعني به كتاب المهذب الآتي ذكره بدليل أنه قال في التعريف به: وهو كتاب شامل، وضع في السنوات ٤٥٥ـ ٤٦٩هـ لكنه لم يطبع بعد[2] .ا.هـ ثم يحيل إلى كتاب: معجم البلدان لياقوت الحموي[3] .

وهذا الوصف المذكور ينطبق على كتاب المهذب الآتي ذكره فإن الشيرازي نص على أنه بدأ بتأليفه وانتهى منه في السنوات المذكورة، كما سيأتي بيانه في محله.

وأما أنه لم يطبع، فوهم منه، فإن الكتاب مطبوع متداول كما سيأتي بيانه في محله أيضاً، وبالله التوفيق.

وأما العنوان المذكور: المذهب في المذهب، فهو إسم كتاب للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الحنبلي، المعروف بإبن الجوزي البغدادي، المتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة، كما ذكر ذلك في كشف الظنون وأشار إلى أنه كتاب في

---

(١) وفيات الأعيان (١: ٢٩).

(٢) أنظره في (١٤: ٢٣).

(٣) في الجزء الثالث (ص٣١٤).

الفروع[1] . أي في الفقه.

وصاحب الكشف قد اختصر عنوان الكتاب، وتمامه: المذهب في تصحيح المذهب، وقد ذكره في مقدمة كتاب: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، على مذهب الإمام احمد بن حنبل[2] . كما ذكر ايضاً أن لولد أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، وإسمه يوسف بن عبد الرحمن بن علي المعروف بإبن الجوزي كتاباً سماه: المذهب الأحمد في مذهب الإمام أحمد[3] . توفي يوسف سنة ست وخمسين وستمائة على يد التتار. وهذا غير الأول، وقد نبهت إلى ذلك، كي لا يظن أنهما كتاب واحد.

الكتاب الثامن عشر: المهذب[4] .

وهو من أشهر كتب الشافعية وأشملها، لا يضاهيه فيها الا كتاب

---

(١) أنظر كشف الظنون (٢: ١٦٤٦).

(٢) أنظر (١: ١٤).

(٣) وهو مطبوع متداول، فقد طبع في الهند في مطبعة «ق» بومباي سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م. قدم له مقدمة موجزة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع. وهو الذي أشار إلى أنهما كتابين. وأن صاحب الإنصاف قد اعتمد عليهما في جملة مراجع كتابه.

(٤) ورد ذكره في كل من: تبيين كذب المفتري (ص٢٧٧)، وفيات الأعيان (١: ٢٩)، المنتظم (٩: ٦)، البداية والنهاية (١٢: ١٢٤)، طبقات ابن السبكي (٣: ٨٨)، تهذيب النووي (٢: ١٧٤)، المجموع (١: ٣٤)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٨) وسماه التهذيب في الفقه. كشف الظنون (٢: ١٩١٢)، هدية العارفين (٥: ٨) وسماه: المذهب في المذهب. وقد وهم في ذلك. دائرة المعارف الإسلامية (١٤: ٢٣) وسماه المذهب في المذهب، وهو وهم ايضاً، دائرة القرن العشرين (٥: ٤٢٢)، الفتح المبين (١: ٢٥٦)، معجم المؤلفين (١: ٦٩)، الإعلام (١: ٥١)، الإمام الشيرازي (ص١٦٣).

الوسيط للغزالي أبي حامد، قال النووي: واشتهر منها ـ أي الكتب المصنفة في الفقه الشافعي ـ لتدريس المدرسين، وبحث المشتغلين: المهذب والوسيط، وهما كتابان عظيمان، صنفهما إمامان جليلان[1] .ا.هـ

وكان سبب تأليفه، أنه لما اشتهر الشيخ أبو إسحاق بالتفوق في الجدل والمناظرة على غيره من معاصريه، وكان أشدهم منافسة له وأشبههم به في العلم والتأليف وكثرة الطلاب، الإمام أبو نصر ابن الصباغ الشافعي صاحب كتاب الشامل في فروع الشافعية، فقد قيل: إنه يوازي الشيخ أبا إسحاق في المتفق والمختلف[2]، أي في فقه المذهب الشافعي والإحاطة به، وفي علم الخلاف، أي بين المذهب الشافعي والمذهب الحنفي.

إلا أن إبن السبكي وافق على مساواته له في المتفق، وأما المختلف فقال فيه عنه: فما كان أحد يضاهي أبا إسحاق في عصره[3] .ا.هـ

ألَّف كل منهما ـ ابن الصباغ والشيخ أبو إسحاق ـ كتابا في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي، أما الشيخ أبو إسحاق فسماه النكت[4]. وأما إبن الصباغ فسماه الكامل في

---

(١) المجموع (١: ١٥).

(٢) المتفق: هي مسائل المذهب، والمختلف: مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية.

(٣) طبقات إبن السبكي (٣: ٢٣١).

(٤) وألّف كل منهما كتاباً في المتفق أيضاً، أما إبن الصباغ فسماه: الشامل في الفروع، وأما الشيخ أبو إسحاق فسماه: المهذب. وهو الذي نحن بصدده.

الخلاف[1].

ويبدو أن الشيخ أبا إسحاق قد بز صاحبه إبن الصباغ في علم الخلاف، فراح بحكم ما بينهما من تنافس الأقران، يبحث عن سبب يبرر فيه عدم لحاقه بالشيخ أبي إسحاق في علم الخلاف، فقال: إذا اصطلح الشافعي وأبو حنيفة، ذهب علم أبي إسحاق الشيرازي[2]. يعني أن علمه هو مسائل الخلاف بينهما، فإذا اتفقا ارتفع علمه وزال، أي وأما أنا فعلمي غير محصور في الخلاف بينهما، بل إن لي مشاركة في بقية العلوم والفنون، فنتج عن ذلك أن توزع همي بين تلك الفنون وهذا هو سبب تفوق الشيخ أبي إسحاق علي في الخلاف.

فما أن سمع الشيخ أبو إسحاق مقالته تلك، حتى انكب سنة خمس وخمسين وأربعمائة على تأليف كتابه المهذب. وقد صنفه مراراً، ولكنه لما كان في كل مرة لا يوافق مقصوده، أي في أن يكون الكتاب على مستوى تحدي إبن الصباغ من الإجادة القصوى في بيان مسائل المذهب الشافعي وتحريرها «كان يلقي به في دجلة، حتى أجمع رأيه على هذه النسخة التي بأيدينا»[3]. وارتضاها دليلاً له على إتقانه مسائل الوفاق، كإتقانه مسائل الخلاف، وكان الفراغ منه سنة تسع وستين وأربعمائة، كما أخبر هو عن ذلك بنفسه، فيما

---

(١) سيأتي الكلام عنه في محله عند الكلام على مؤلفات الخلاف في الباب الثاني ان شاء الله تعالى.

(٢) ذكره في كشف الظنون (٢: ١٣٨١) وطبقات ابن السبكي (٣: ٢٣) في ترجمته. أعني إبن الصباغ... وانظر أيضاً طبقات ابن السبكي (٣: ٩٢).

(٣) أنظر طبقات ابن السبكي (٣: ٩٢).

حكاه عنه النووي[١].

وهو إذ يؤلف هذا الكتاب، لم ينسَ معه اللجوء إلى الله طلباً للتوفيق إلى نصرة الحق، وبيان الشرع، فكان يصلي عقب كل فصل يكتبه فيه ركعتين[٢]، شأنه في ذلك شأن غيره من الأئمة الأعلام، فقد كان البخاري كلما أراد إثبات حديث في صحيحه إغتسل وصلى ركعتين كما حكاه عنه الغبربري[٣].

ولما انتهى من كتابة المهذب واطمأن إلى أنه لم يكتب فيه الا ما يعتقده حقاً وصواباً، قال قولته المشهورة، فيما حكاه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحاضنة: لو عرض هذا الكتاب الذي صنفته وهو المهذب، على رسول الله ﷺ، لقال: هذا شريعتي التي أمرت بها أمتي[٤]. ا.هـ

ولقد تلقت الأمة كتابه المهذب بالقبول، ومن أكبر الأدلة على ذلك تعاور الشراح عليه، حتى زادت شروحه على خمسة وعشرين شرحاً[٥]، بعضها في بيان أحكامه الفقهية، وبعضها في تخريج[٦]

---

(١) قال النووي: ونقل عنه رحمه الله أنه قال: بدأت في تصنيف المهذب سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وفرغت يوم الأحد آخر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة. ا.هـ المجموع (١: ٣٤)، تهذيب النووي (١: ١٧٤)، وانظر كشف الظنون (٢: ١٩١٢).

(٢) طبقات ابن السبكي (٣: ٨٩)، مفتاح السعادة (٢: ٣١٩).

(٣) وهو أحد أصحابه، وممن رووا عنه الصحيح. أنظر طبقات إبن السبكي (٢: ٧)

(٤) طبقات ابن السبكي (٣: ٩٥).

(٥) سرد أكثرها صاحب كشف الظنون (٢: ١٩١٢) وذكر الباقي هيتو في ترجمة الإمام الشيرازي (ص١٦٤) وما بعدها.

(٦) ذكر في مقدمة كتاب الوصول (ص٤٨) أن هناك كتاباً واحداً فقط في تخريج =

أحاديثه ومنها في بيان مشكلاته، أو في شرح غريب ألفاظه، ومنها في إختصاره وهكذا كان المهذب محلاً لدرس الدارسين واشتغال العلماء والمتبحرين.

وإذا كان أمر المهذب، ما قد ذكرنا، فلا عجب أن تنظم فيه الأبيات مدحاً وإطراء، والتي منها قول بعضهم فيه، قيل هو الشيخ أبو إسحاق نفسه:

رفعت عماد الدين بعد إنخفاضه
وأحييت شرعـاً للورى بالمهـذب
يرى الحق فيه واضحاً وكأنمـا
هـو الدر إلا أنـه لـم يثقـب
يـرون اقتباس المجد وهـو مشيد
لديك وقد أظهرت كـل مغيب
فعـال بنى الدنيا تؤول إلى الفنـا
وفعلك بـاق مثل لألاء كوكـب
فعش ما بدا ضوء النهار وما غدا
يتوب إلى رب الورى كل تائب(١)

= أحاديثه، وهو خطأ، بل هي أربعة كتب: أولها: لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. ثانيها: لسراج الدين عمر بن على المعروف بإبن الملقن المتوفي سنة أربع وثمانمائة. وثالثها: لمحمد بن عبد المنعم، المعروف بإبن المعين المنفلوطي الشافعي المتوفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ذكرها جميعاً صاحب الكشف (٢: ١٩١٢). ورابعها: لمحمد بن موسى بن عثمان الهمذاني، المتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ولكنه لم يتمه. ذكره في طبقات الشافعية (٧: ١٣).

(١) ذكرت هذه الأبيات في صفحة عنوان المهذب، في طبعة البابي الحلبي، على =

وقد طبع المهذب، وبهامشه النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، للعلامة محمد بن أحمد بن بطال الركبي اليمني المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[1].

الكتاب التاسع عشر: نزهة الأفكار إلى معرفة السادة الأخيار، من السادة الصحابة والتابعين والأولياء الأبرار[2].

ورد ذكر هذا الكتاب في فهرس المخطوطات المصورة، وهو صغير الحجم، يقع في ثمانية وأربعين ورقة، من القطع المتوسط. ورقمه (٥٣٢٠).

والوصف المذكور في العنوان، يفيد أنه عين كتابه: طبقات الفقهاء، فقد ذكر فيه تراجم لعدد من فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ثم ذكر فقهاء المذاهب الأربعة والظاهرية، ولعلهم هم المقصودون بقوله: والأولياء الأبرار.

وقد سبق أن ذكرناه مع وصفه، في محله.

الكتاب العشرون: نصح أهل العلم[3].

= نفقة الشيخ سالم بن سعد بن نبهان وأخيه أحمد، أصحاب المكتبة النبهانية بسور ابايا، ربيع الثاني ١٣٤٣هـ. وقد كتب فيها الآتي: وجد بخط الشيخ أبي إسحاق رحمه الله هذه الابيات على ظهر مهذبه ثم ذكر الأبيات. ولكن الظاهر ان غير أبي إسحاق قاله، إذ لو قالها هو لذكرها من ترجم له، فلعلها من نظم بعض من ملك النسخة المذكورة، إذ لو كانت لبعض كبار العلماء لاشتهرت عنه ولذكرت في التراجم. والله أعلم.

(١) انظر الهامش السابق. وأنظر أيضاً هدية العارفين (٦:١١٣).

(٢) لم أجد من ذكره بهذا العنوان الا صاحب مقدمة الوصول (ص٤٨)، ممن ترجموا للشيخ أبي إسحاق.

(٣) ورد ذكره في كل من: طبقات ابن السبكي (٣:٨٨)، مفتاح السعادة =

يبدو من عنوان الكتاب، أنه وضع لتنبيه أهل العلم طلاباً ومدرسين، إلى ما يجب أن يتحلوا به من الأخلاق الفاضلة، وما يجب أن يجتنبوه من الأخلاق الرذيلة، ليكون لعلمهم ثمرته في الدنيا وينالوا الثواب عليه في الآخرة، فهو كتاب في علم الأخلاق.

وقد ذكره في معجم المطبوعات العربية والمعربة[1]، تحت عنوان: رسالة الشيرازي في علم الأخلاق.

وذكره في موضع آخر تحت عنوان: الطب الروحاني، ثم نبه إلى أنه في المواعظ والأخلاق الحميدة وضدها، وما يتفرع عنها.

وأشار إلى أن الأستاذ عبد العليم صالح المحامي بمصر قد قام بنشره. وقد قامت مطبعة الموسوعات بطبعه سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف، وأن الكتاب وقع في ثمانين صفحة، تحت عنوان: رسالة الشيرازي في علم الأخلاق.

وأما عنوانه الآخر: الطب الروحاني، فقد أشار إلى أنه طبع بمطبعة جريدة المفيد سنة تسع وتسعين ومائتين وألف للهجرة بمصر.

وبما أننا لم نطلع لا على المخطوط ولا على المطبوع، فلا نستطيع الحكم بأن أحدهما هو عين الآخر.

الكتاب الحادي والعشرون: النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة.[2]

= (٢: ٣١٨)، الوصول (ص٥٧)، الإمام الشيرازي (ص١٨٠) الا أنه لم يذكر مصدره في ذلك.

(١) أنظر (ص١١٧١) والتي تليها في المعجم المذكور.

(٢) تحدثنا بإسهاب في مقدمة تحقيقنا لكتاب النكت حول عنوان الكتاب ومعناه، =

وهو في الخلاف في الفروع الفقهية بين الشافعي وأبي حنيفة ولنا معه وقفات كشفنا بها عن أوصافه وأحواله وأهميته في مقدمة تحقيقنا للكتاب والحمد لله.

الكتاب الثاني والعشرون: نكت المسائل، المحذوف منها عيون الدلائل[1] هذا الكتاب مختصر من كتاب النكت السابق الذكر، جرد فيه الشيخ أبو إسحاق ما كتبه في النكت من الأدلة للمذهبين، وإقتصر فيه على ذكر رؤوس المسائل فقط، فمثلاً قال في المسألة الأولى منه لا يجوز إزالة النجاسة بمائع غير الماء، وقال أبو حنيفة: يجوز إزالتها بكل مائع طاهر مزيل للعين.ا.هـ ثم ذكر المسألة الثانية كذلك، وهكذا حتى نهاية الكتاب. فأتى فيه على جميع أبواب الفقه مسألة مسألة، مما جرى الإختلاف فيه بين الإمامين الجليلين.

يوجد نسخة من هذا الكتاب في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وكان نسخه على يد مالكه أويس بن عمرو بن علي الموشلاني المراغي، بمدينة السلام ـ بغداد ـ في المدرسة النظامية. وقد فرغ من نسخه في رمضان لخمسة أيام مضين منه، سنة ست وستين وأربعمائة. وناسخه هو نفس ناسخ كتاب النكت كما سيأتي بيانه، وفي نفس السنة والمكان.

إلا أن خطه في النكت أجود منه في مختصره، وكلاهما مقروء

= وتوثيقه ونسخه وشروحه ووصفه والمصطلحات الواردة فيه والمآخذ عليه.

(١) لم أجد من نص على هذا الكتاب من الأقدمين، إلا ان الأستاذ هيتو من المعاصرين قد نص عليه، كما قلنا عند الكلام على الكتاب السادس، في كتابه: الإمام الشيرازي (ص١٨٠).

واضح وقد انتهى الناسخ من نسخه بعد شهر واحد من نسخه لكتاب النكت، فقد انتهى من نكت المسائل لخمس مضين من رمضان ومن النكت لخمس مضين من شعبان، من سنة ست وستين وأربعمائة.

وتوجد منه صورة لنسخة أخرى في مكتبة الحرم المكي الشريف في المجموعة رقم سبعة عشر، رقم الفيلم تسع وأربعون ومائة وألف.

عدد اوراق المخطوط ست وأربعون ورقة.

تاريخ التصوير: في الحادي عشر من رمضان سنة ثلاث وأربعمائة وألف للهجرة.

وأما خط الناسخ فواضح، نسخي معتاد، الا أنه كثير التصحيف والتحريف واللحن. ويبدو أن الناسخ وهو طالب في الحرم المكي، قليل العلم والمعرفة. وقد قال في نهاية الكتاب: وتمت الكتاب وقت قبل الظهر من يوم الإثنين في شهر سفر آخر الإثنين. ولم يذكر سنة الكتابة.

الا أن ترتيب وأسلوب المسائل في هذه النسخة يختلف عن الأولى ولكنه مقتصر فيه على رؤوس المسائل أيضاً.

وثمة صورة من هذه النسخة أيضاً في مكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. تحت رقم (٢٥٦٥) خمس وستين وخمسمائة وألف.

وقد شرعت في تحقيق هذا الكتاب، وإني لأرجو أن لا يطول به الوقت حتى يظهر في عالم المطبوعات. والله الموفق والمعين.

الكتاب الثاني والعشرون: الوصول إلى مسائل الأصول[1].

---

(١) طبع منه الجزء الثاني فقط، طبعته الشركة الوطنية في الجزائر١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م=

وهو في فن أصول الفقه كما ترى من عنوانه، وكما هو معلوم من مضمونه أيضاً.

ولكن لا يوجد منه الا الجزء الثاني فقط، ويحتوي على الأبواب التالية: الخبر، الإجماع، القياس، الإستحسان، الإستصحاب، الأدلة، التقليد، الفتيا، الإجتهاد.

الا أن في آخر المخطوط نقصاً يسيراً، لا يتعدى بضعة أوراق.

صحيح ان عدم نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ أبي إسحاق من قبل جميع من ترجم له، قد يثير نوعاً من الشك حول صحتها الا أن ما احتوى عليه الكتاب من الإشارة إلى الشيخ أبي الطيب الطبري بضع عشرة مرة، بلفظ: وقال شيخنا: أو: به يقول شيخنا، وكذا إحالة المؤلف إلى كتابه: الملخص في الجدل بصيغة ذكرت في التلخيص في الجدل كذا وكذا، يرفع هذا الشك ويزيل تلك الشبهة[1].

إلى ما ذكرته، توصل الأستاذ عبد المجيد تركي محقق الكتاب ولكن، لدى التأمل في الكتاب المذكور، نجد أن الأستاذ تركي قد وقع في الوهم، فإنه ليس للشيخ أبي إسحاق كتاب بهذا الإسم وإنما هو تتمة شرح الشيخ أبي إسحاق لكتابه: اللمع في أصول الفقه أنظر رؤوس مسائل كتاب الوصول، ثم أنظرها في كتاب اللمع تجد التطابق الكامل بينهما، مما يحمل على رفض قول محقق الوصول رفضاً علمياً وعملياً.

وسأضرب لك ثلاثة أمثلة، أثبت لك بها ما ذكرت:

= بتحقيق الشيخ عبد المجيد تركي.

(١) ذكر مجمل ذلك الأستاذ عبد المجيد تركي في تقديمه لكتاب الوصول في (ص٥١) وما بعدها.

المثال الأول: قال في اللمع في باب القول في الأخبار: بيان الخبر وإثبات صيغته، والخبر هو الذي لا يخلو من أن يكون صدقاً أو كذباً، وله صيغة موضوعة له في اللغة تدل عليه، وهو قوله: زيد قائم وعمرو قاعد وما أشبههما، وقالت الأشعرية: لا صيغة له[1] ...الخ.

وقال في الوصول الذي هو في الحقيقة شرح لكتاب اللمع للشيخ أبي إسحاق في شرح هذه الجملة:

«باب بيان الخبر وإثبات صيغته، قال المتقدمون من الطوائف كلها: حد الخبر ما يدخله الصدق والكذب...الخ.

ثم قال: وله صيغة موضوعة في اللغة تدل عليه، وهي قوله: زيد في الدار، وقالت الأشعرية: ليس للخبر صيغة تدل عليه، وقالت المعتزلة: الخبر يصير خبراً إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم إلى الإخبار به كما قالوا في الأمر، والدليل على صحة مذهبنا هو[2] ...الخ.

من هذين النصين، نرى التطابق بين ما في اللمع وما في شرحه.

المثال الثاني: قال في اللمع: باب القول في الإجماع، باب ذكر معنى الإجماع وإثباته: الإجماع في اللغة يحتمل معنيين أحدهما الإجماع على الشيء. والثاني العزم على الأمر والقطع به، من قولهم أجمعت على الشيء إذا عزمت عليه، وأما في الشرع، فهو إتفاق علماء العصر على حكم الحادثة[3] ...الخ.

---

(١) انظر متن اللمع في نزهة المشتاق (ص٤٠٥).

(٢) الوصول إلى مسائل الأصول (ص٧١).

(٣) انظر متن اللمع في: نزهة المشتاق (ص٥٧٠).

وقال في الوصول: باب القول في الإجماع، ومعنى الإجماع وإثباته، الإجماع في اللغة يحتمل معنيين: أحدهما: الإجتماع على الشيء، والثاني: العزم من قولهم: أجمعت على الشيء إذا عزمت عليه، وأما في الشرع، فهو: إتفاق علماء العصرعلى حكم الحادثة[1] ... ثم شرع في شرح ذلك.

المثال الثالث: وفي باب القياس قال في اللمع: باب حد القياس واعلم أن القياس حمل فرع على أصل في بعض أحكامه، بمعنى يجمع بينهما. وقال بعض أصحابنا: هو الإمارة على الحكم، وقال بعض الناس: هو فعل القائس، وقال بعضهم هو الإجتهاد، والصحيح هو الأول، لأنه يطرد وينعكس، الا ترى ان بوجوده يوجد القياس وبعدمه ينعدم، فدل على صحته[2] ...الخ.

وقال في الوصول: باب بيان حد القياس، أعلم أن القياس حمل فرع على أصله بعلة جامعة بينهما، وقال بعض أصحابنا: هو الإمارة على الحكم وقال بعض الناس: هو فعل القائس وقال بعضهم: هو الإجتهاد، والصحيح هو الأول، لأنه يطرد وينعكس الا ترى أن بوجوده يوجد القياس وبعدمه يعدم، فدل على صحته[3] ...الخ ثم شرع في شرح ذلك.

فدل جميع ما ذكرناه على أن كتاب الوصول، إنما هو كتاب شرح اللمع، وكلاهما أعني اللمع وشرحه للشيخ أبي إسحاق وأن إطلاق إسم الوصول على شرح اللمع خطأ من بعض نساخ كتاب شرح

---

(١) الوصول (ص١٤٥).

(٢) انظر متن اللمع في: نزهة المشتاق (ص٦٣٠) وما يليها.

(٣) الوصول (ص٢١١).

اللمع ولم يذكر أحد ممن ترجموا للشيخ أبي إسحاق أن كتابه: شرح اللمع يسمى بالوصول، فصح أن إطلاق هذا الإسم عليه وهم، وأنه ليس للشيخ ابي إسحاق كتاب يسمى بالوصول إلى مسائل الأصول وإنما هو بهذا العنوان كتاب لأبي بكر محمد بن داود الظاهري[1]. والله أعلم.

---

(١) وقبيل دفع هذا القسم من التحقيق إلى الطبع اتصلت بالشيخ الدكتور نزيه حماد ـ وهو متخصص في الفقه والأصول وله اشتغال في التحقيق ـ بعد أن علمت أن لديه خبراً حول هذا الكتاب، فسألته عن نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ أبي إسحاق، فقال: انه تتمة شرح اللمع للشيخ أبي إسحاق، وقد أخطأ الناسخ في وضع هذا العنوان «الوصول» على نسخة شرح اللمع في المكتبة الوطنية بباريس. وأخبرني الشيخ نزيه بأنه اطلع على هذا الكتاب في مكتبة استنبول بتركيا، وصور منه نسخة ودفعها إلى الأستاذ تركي ليقف على الحقيقة ، وقد تقبل منه ذلك، وأخبره بأنه سيحقق الجزء الأول من الكتاب، وسيطبعه بجزئيه الأول والثاني تحت عنوان: شرح اللمع، للشيخ أبي إسحاق.

obeikandl.com